أندريه مارتيني

مبادئ في اللسانيات العامة

سلسلة العلم والمعرفة



حقل اللغة

دار الآفاق



أندريه مارتيني

مبادئ في اللسانيات العامة

ترجمة الدكتور سعدي زبير
أستاذ بجامعة الجزائر

العنوان الأصلي:ELEMENT DE LINGUISTIQUE GENERAL
المؤلف:ANDRE MARTINET

Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.



- كلمة لابد منها -

من الأمانة أن نقول للقارئ إن هذا العمل لم ينشأ من عدم، ذلك لأنه سبقني إلى تعريب كتاب "مارتنه" أستاذان فاضلان هما على التوالي:

- الدكتور أحمد الحمو   المطبعة الجديدة دمشق 1984
- ريمون رزق الله   دار الحداثة لـ:ط.ن.ت بيروت 1990

وإنني مثل ما قرأت كتاب "مارتنه" وأنا طالب مرارا عديدة فإنني قرأت ترجمة الأستاذ أحمد الحمو وعدت إليها أكثر من مرة للتأكد من بعض العبارات أو للاستئناس بما ذهب إليه في تعريب جملة أو مثل لذلك فإني أقر له بفضل السبق واعترف له بجميل صنعه، فجزاه الله ألف خير.

يبقى للقارئ أن يسأل، لماذا هذه المحاولة الثالثة في تعريب مؤلف واحد؛ وبعد هذه الفترات المتلاحقة؟

إن الأفكار النيرة كالحقائق العلمية لا يؤثر عليها الزمن ولا ينقص من قيمتها حتى وإن ظهرت أفكار أخرى بعدها تكشف عن جانب آخر مغفل وتنير مكوناته وتبيّن فوائده فعلم اللسان متعددة جوانبه معقد تركيبه، والعلماء يعملون كل على شاكلته ينظرون إليه من زوايا مختلفة لمعرفة مكوناته وسبر أغواره، وما آراؤهم ونظرياتهم إلا كجذور شجرة كلما ازدادت عمقا في الأرض صلب جذعها وأينعت أوراقها وكثرت ثمارها.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

يتفق البنيويون اليوم على طرح مبدأ أولوية التحليل الآني ورفض كل استبطان فيما عدا ذلك إن وجهات النظر والمناهج تختلف من مدرسة إلى مدرسة أخرى ومن اتجاه إلى اتجاه آخر والمتفق عليه من المصطلحات عادة ما يغطي اختلافات أساسية، وعلى هذا فإنه ينبغي أن تتخلى عن عرض مجموع المذاهب المنتشرة بين اللسانيين المعاصرين في مؤلف واحد. وإنه لمن محصول الحاصل أن كل محاولة للتوفيق بين هذه المذاهب ستبوء بالفشل. إن المبادئ والمناهج التي سنعرضها فيما يلي موسومة بالنظر إلى غيرها بواقعية أكبر وبأقل شكلانية أو أحكام مسبقة إذا كان المؤلف قد سمح لنفسه بذكر ما سبق بكل تواضع فلأن الخضوع إلى المحسوسات ليس مما ينصح له المنظرون اليوم. إن التركيز سيقع بنفس الدرجة على وظيفة الوحدات اللسانية وعلى البنى التي تكوّنها. وبعد النظر في الآني ستوجد اهتمامات تتعلق بالزماني ولكن دون أن تتداخل وجهتا النظر بطبيعة الحال تعكس مختلف أجزاء هذا المؤلف - دون شك - شخصية المؤلف وميوله، ولكن بدرجات جد متنوعة : إن مبادئ التحليل الصوتي قد نزلت منذ مدة إلى الميدان العام. على العكس من ذلك ما يقال في الفصل الرابع في علم التراكيب، جديد وجديد جداً بالنسبة لكتاب كهذا- لقد ألزمتنا، ضرورة عرض منهج وصف يغطي - بكيفية منسجمة - مجموع ظواهر اللسان، استباق نتائج مجهود جماعي يهدف -رغم سوء التنسيق- بالنسبة للوحدات الدالة إلى استخراج ما تمثله الصوتيات للوحدات المتمايزه. أما ما يقال في الفصلين الخامس والسادس عن تنوع الاستعمالات وحركية الألسن فهو بالتأكيد أقل أصالة. لقد وضّح كل هذا من قبل بشكل أو بشكل آخر ولكن الأمر يحتاج أن يكون ذلك الذي نذكره مقبولا دوليا.

إنه قل ما تقرأ المقدمات. وإن حدث أن جازف مبتدئ بقراءة هذه المقدمة فليعلم أننا ونحن نكتبها لم نفكر فيه. نأمل أن يكون صلب المؤلف سهل المنال بالنسبة له كما نأمل أنه بعد قراءته إن عنّ له أن يعيد قراءة هذه الصفحات الأولى أن يرى بوضوح المكانة التي تحتلها نظرية المؤلف في فضاء البحث اللساني المعاصر.

مدخل 1980

يستبق الفصل الرابع من هذه "المبادئ" -مثلما نشير إليه في المقدمة نتائ مجهود جماعي يهدف إلى وضع أسس دقيقة لدراسة الوحدات الدلالية في إطار وظيفي محض إن الشغف ببعض النظريات والتطبيقات اللسانية المؤسسة على مفترضات تختلف تمام الاختلاف مع افتراضاتنا لم توقف و لم تكبح جماح تطور جهاز نظري ومنهجي -لا أفقيا ولا عموديا- لم يكن موجودا إلا على شكل مبادئ للطبعات الأولى لهذا المؤلف. لقد عزز هذا التطور عدة دراسات وصفية للألسن كانت مواضيع رسائل دكتوراه؛ منشورة أو غير منشورة، كما عززه عمل جماعي ومتابعة في حلقات مدرسة الدراسات العليا.

لقد أدمجت بعض نتائج هذه الأبحاث في الطبعات المتوالية لهذا المؤلف وكان ذلك بطريقة متزنة بإضافات للنص الأصلي بدلا من تغيير للنص.

وبمناسبة ترجمة "المبادئ" إلى التركية والفيتنامية والاسلندية برزت ضرورة إعادة كتابة بعض الفقرات حتى نبرز للعيان بعض المفاهيم التي تبين أنها أساسية وضرورة إسقاط بعض الفقرات الأخرى كنت اعتبرت من المفيد أن أعيد تناولها بنفسي، لكن التطبيق الوظيفي لم يستند إليها أو لأنها أدت بعض البحوث إلى متاهات.

إن إعادة النظر هذه لم تؤد إلى تغيير بنية الكتاب. لم تحتفظ الفقرة (4-39) بأي شيء من محتواها الأول. لكن الزيادات التي لم يسمح احترام الإطار الأصلي بإدراجها في الفصول الستة تجمع من الآن في ملحق آخر الكتاب أما المفاهيم التي تعرض في هذه الملحقات فتوجد في جرد المصطلحات.

من المفيد للقراء الذين اطلعوا على الطبعات السابقة لهذا الكتاب أن يرجعوا بالإضافة إلى الملحقات م1 ← م13 آخر الكتاب إلى الفقرات التالية: من 1-8 إلى 1-11، 2-12، 2-28، 3-35، 3-40 وإلى مجموع الفصل IV وخاصة من 4-13 إلى 4-22، 4-26 ومن 4-32 إلى 4-47.



تماما فالفم يستعمل لإيصال الغذاء إلى المعدة والخياشيم تستعمل للتنفس وهلم جرّا... وتلافيف المخ التي رأى بعضهم أنها منشأ الكلام لأن إصابتها غالبا ما كان:-، ذات علاقة بالحبسة -لاشك ذات صلة بممارسة اللغة؛ ولكن لاشيء يثبت أن تلك هي وظيفتها الأولى والأساسية.

ونظرا لهذه الاعتبارات فإننا نميل إلى تصنيف اللغة ضمن المؤسسات البشرية. وهذه الطريقة في النظر فيها مزايا لا جدال فيها: فالمؤسسات البشرية (أو الأنظمة البشرية) ناجمة عن العيش في المجتمع وهذا ما ينطبق على اللغة التي تتصور أساسا كأداة للتبليغ. والأنظمة البشرية تفترض تدريب الملكات الأكثر تنوعا ويمكنها أن تكون كثيرة الانتشار ويكون حالها كحال اللغة: كونية ولكن دون أن تكون موحدة من مجموعة بشرية إلى مجموعة بشرية أخرى. فالأسرة على سبيل المثال تتميز بها كل المجتمعات البشرية ولكنها تظهر هنا وهناك بأشكال متنوعة وكذلك الشأن بالنسبة للغة فهي وحيدة بالنسبة لوظيفتها مختلفة من مجموعة بشرية إلى أخرى بحيث إنه لا يمكن أن تستعمل إلاّ بين أفراد تلك المجموعة. فالأنظمة التي ليست هي معطيات أولية ولكنها نتاج للعيش في المجتمع لا تعرف الاستقرار وهي مهيأة للتغيير بدافع الحاجات المتنوعة وعقب تأثر بمجتمعات أخرى. هذا وإننا سنرى أن الأمر لا يختلف بالنسبة للأوضاع المختلفة للغة أي بالنسبة للألسن.

1-4- وظائف اللغة :

ومع ذلك فالقول: إن اللغة نظام، لا ينير إلا قليلا هذه الظاهرة. وعلى الرغم من أنها مجازية، فالإشارة إلى اللسان بكونه أداة أو وسيلة يجلب بشكل مفيد جدّا الانتباه إلى ما يميّز اللغة عن كثير من الأنظمة الأخرى، فالوظيفة الأساسية لهذه **الأداة** هي **التبليغ** فالعربية مثلا هي قبل كل شيء الوسيلة التي تمكن أهل اللسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم سنرى أن أي لسان يتغيّر بمرور الزمن. وهذا الأمر يحصل أساسا استجابة لحاجيات التبليغ في المجتمع الذي يستعمل اللسان ويتم ذلك بالوجه الاقتصادي الأمثل.

إننا لنحترز من أن ننسى أن اللغة تستعمل لوظائف أخرى غير تلك التي يتم بها التفاهم بين متكليمها. فاللغة تستعمل في المقام الأول -تقريبا- كعماد للفكر إلى الحد الذي فيه نتساءل عن جدوى أي عمل ذهني يعزوه الإطار اللساني؛ والواقع إن عالم النفس هو الحري بالإجابة عن هذا السؤال وليس عالم اللسان. ومن جهة أخرى فالانسان غالبا مّا يستعمل اللسان **للتعبير** أي أنه

يحلل ما يختلج في صدره دون أن يكترث بوجود مستمعين، وإنه ليجد في تلك ال المناسبة وسيلة ليثبت وجوده تجاه نفسه وتجاه الآخرين دونما حاجة حقيقية لتبليغ أي شيء. ايضا يمكننا أن نتحدث عن وظيفة جمالية للغة يكون من الصعب تحليلها لما لها من تداخل مع وظيفتي التبليغ والتعبير. وفي نهاية المطاف فإن التبليغ أي التفاهم المتبادل هو الجدير بالاعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة التي هي اللسان. ومن الملاحظ بهذا الصدد أن بعض المجتمعات تردع بالهزء من يناجي نفسه، وبمعنى آخر: استعمال اللغة بهدف تعبيري صرف. والذي يريد أن يعبّر عما في نفسه دون خشية التوبيخ، عليه أن يجد جمهورا يعرض عليه ملهاة التبادل اللساني. ومن جهة أخرى فكل ما في هذا الأمر يشير إلى أن التلف يصيب بسرعة لسان أيّ كان إذا فقدت ضرورة التفاهم وإن هذه الضرورة الدائمة هي التي تصون هذه الأداة من التلف.

1-5- هل الألسن مجموعة من المصطلحات :

إنه وفقا لتصور غاية في السذاجة واسع الانتشار، تكون الألسن عبارة على قائمة من الكلمات أو الإنتاجات الصوتية (أو الخطية) كل كلمة فيها تطابق شيئا مّا. فلحيوان مّا وليكن الحصان مثلا تجعل القائمة الخاصة المعروفة باسم اللسان العربي إنتاجا صوتيا مخصوصا يمثله الرسم الحصان بالشكل التالي: "حصان" والفروق بين الألسن يكون مرجعها حينئذ في الفروق في التسمية فـ:للحصان يقول الإيراني: "بماز" والقبائلي يقول "أسرذون"، وعليه فإن تعلم لسان ثان يقود بكل بساطة إلى حفظ قائمة جديدة توازي تماما القائمة الأولى. وفي الحالات القليلة التي لا مفرّ من الإعتراف فيها بتعثّر هذه الموازاة يلجأ إلى ما يسمّى "باللهجيات" فالإنتاجات الصوتية نفسها قد تكون بطبيعة الحال في الألسن من نفس الأصوات وتكون الفروق الوحيدة بين لسان ولسان آخر في اختيار تلك الأصوات وتجميعها في كل كلمة. هذا الأمر يؤكد إن نحن نظرنا إلى الأمر من زاوية الرسم وليس من زاوية الأصوات، فباستخدام نفس الأبجدية لألسن متنوعة تستعمل الموسومات: "حصان "، "بماز" و "أسرذون" حقيقة حروف نفس الأبجدية فـ "ا" في الكلمتين الأوليين و "ن" في الكلمة الأولى والثالثة: حصان،أسرذون.عند السماع لابد من ملاحظة: إن مردّ الأمر في هذه المسألة ليس هو الفرق في اختيار نفس العناصر وترتيبها؛ وفي هذه الحالة يلجأ إلى النبر، والنبر قد يعد شيئا هامشيا يضاف إلى النطق العادي لأصوات اللغة وقد يعد من السخافة بل من غير اللائق محاولة تقليده أثناء تعلم لسان آخر غير لساننا.

1-8- التقطيع المزدوج للغة :

كثيرا مّا يقال إن اللغة البشرية ذات مفاصل وإن الذين يستعملون هذا التعبير يكون من الصعب عليهم تعريف ذلك بدقة. ومما لاشك فيه أن هذه العبارة تنطبق على صفة تختصّ بها -في واقع الأمر- كل الألسن. ومع ذلك فإنه يليق بنا تدقيق هذا المفهوم المتعلّق بمفاصل اللغة أو تقطيعها، وملاحظة أن هذا التقطيع يتجلى في مستويين مختلفين: إن كل الوحدات التي تنجم عن التقطيع الأول هي في الواقع مكوّنة بدورها من وحدات ذات مفاصل من ضرب آخر.

فالتقطيع الأول للغة هو ذلك الذي يقوم على أن كل ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها أو كل حاجة من حوائجنا نود تعريف غيرنا بها - تحلل إلى متوالية من الوحدات لكل منها صورة صوتية ومعنى. إن كنت أشعر بصداع فإنه يمكنني أن أبين ذلك بالصراخ، وهذا الصراخ يمكن أن يكون عفويا، وفي هذه الحالة يكون مردّه الوضع الفيزيولوجي. يمكنني أيضا أن أعمد إلى الصراخ حتى يعرف من هو حولي آلامي. ولكن هذا وحده لا يكفي لجعله تبليغا لسانيا، ذلك أن كل صرخة غير قابلة للتحليل وهي تطابق مجموع الإحساس بالألم الذي لا يقبل التحليل وخلاف هذا الوضع يكون إن أنا تلفظت بالجملة التالية: (صدّعت) أو: يوجعني رأسي. في هذه الحالة لا تناسب أي وحدة من الوحدات الأربع: يوجع لي رأسي ما به يحدد وجعي. فكل واحدة من تلك الوحدات يمكنها أن توجد في سياق آخر مغاير تماما لتبليغ ظواهر أخرى من التجربة البشرية، فمن تشكى الوجع← توجّع وأيضا توجّع له مما نزل به: رثى له من مكروه نازل. وأما رأس فيمكن أن توجد في : رأس القوم: سيدهم. وإننا لنلاحظ ما يمثل هذا التقطيع الأول من اقتصاد: ويمكننا أن نفترض نظاما من التبليغ قوامه تناسب وضع ما معين وظاهرة تجربة ما، لصرخة خاصة. لكنه بمجرد التفكير في ما لانهاية له من تلك الأوضاع وتلك الظواهر المتعلقة بالتجربة نفهم أن ذلك النظام يمكن أن يقوم بنفس المهام التي تقوم بها الألسن البشرية وأنه يجب أن يحتوي على عدد من الأدلة المتمايزة بقدر مهول لا تستطيع ذاكرة الإنسان حفظه؛ وإن بعض آلاف الوحدات مثل: رأس و وجع و لي وي، قابلة لسعة التأليف تمكننا من تبليغ عدد من الأشياء أكبر مما تمكننا منه ملايين الصرخات المختلفة وغير القابلة للتقطيع.

إن التقطيع الأول هو الطريقة التي بها ترتب التجربة المشتركة لدى كل أعضاء مجموعة لسانية معينة. وإنّه لا يمكننا أن نقوم بعملية التبليغ إلا في إطار

هذه التجربة والتي تكون موقوفة بالضرورة على ما هو مشترك بين عدد هائل من الأشخاص. إن أصالة الفكرة لا يمكنها أن تظهر إلاّ في تناسق غير منتظر للوحدات. إن التجربة الفردية التي لا يمكن تبليغها كوحدة، تحلل إلى متوالية من الوحدات، كل وحدة فيها -ضعيفة خصوصيتها- معروفة من لدن كل أعضاء المجموعة وإننا لا ننحو نحو الخصوصية إلا بتنسيق وحدات جديدة، كأن نضيف صفات إلى اسم وأن نضيف إلى الصفة ظرفا أو بصفة عامة نضيف مخصصات إلى مخصص. في هذا الإطار يمكن أن يمارس إبداع الذي يتكلم.

كل وحدة من وحدات هذا التقطيع الأول تمثل مثل ما رأينا، معنى وصورة صوتية، وإنه لا يمكن أن تحلل إلى وحدات متوالية دنيا ذات معنى. مجموعة "راس" تعني راس ولا يمكننا أن نضفي إلى: "را" و"س" معنيين متميزين يكون مجموعهما مساو لـ: "راس" ولكن الصورة الصوتية قابلة للتحليل إلى متوالية من الوحدات تساهم كل واحدة منها في تمييز راس مثلا عن وحدات أخرى كـ: فاس وساس وباس وروس وهذا ما نسمه بالتقطيع الثاني للغة. في مثل: ساس (القادح في السن)، عدد وحداته ثلاثة، يمكننا أن نشخصها بواسطة الأحرف: س ا س نضعها كما هو مصطلح عليه بين خطين مائلين كذا: /سا س/ وهكذا نلاحظ ما يمثله **التقطيع الثاني** من إقتصاد: فإذا كان علينا أن نجعل لكل وحدة دالة دنيا ما يناسبها من إنتاج صوتي خاص وغير قابل للتحليل فإنه يلزمنا أن نميّز بين الآلاف منها، وهذا ما لا يتوافق لا مع القدرات النطقية ولا مع حاسية السمع للكائن البشري؛ فبفضل التقطيع الثاني يمكن للألسن أن تكتفي ببضع عشرات من إنتاجات صوتية متميزة نؤلف بينها لنحصل على صور صوتية لوحدات التقطيع الأول، فـ: ساس مثلا تستعمل مرتين الوحدة الصوتية التي نشخصها بواسطة /س/ بإدراج وحدة أخرى نشخصها كذا /ا/ بين هاذين الـ /س/ (السينين).

1-9- الوحدات اللسانية الأساسية :

إن قولا مثل: "وجع فلان رأسه" أو جزءا ذا معنى من هذا القول مثل: وجع و فلان ورأسه، يسمى **دليلا** لسانيا. يحتوى كل دليل لساني على مدلول هو معناه أو قيمته -وسنقيده بين هلالين: ("وجع فلان رأسه"، "وجع" و "رأسه" -وعلى **دال** بفضله يتبيّن، وسنعرضه بين خطين مائلين /
و ــ ج ــ ع ــ ف ــ ل ــ ا ن ــ ر ــ ء س ــ ه /ا/ و ــ ج ــ



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

ع ـَ /،/ ر ـَ ء ϕ س ـَ ـــه/ . في الاستعمال الجاري يخصّص إسم الدليل للوجه الدال. إن الوحدات التي تنجم عن التقطيع الأول بدوالها ومدلولاتها هي أدلة وأدلة دنيا لأن كل واحد منها لا يمكن تحليله إلى متوالية من الأدلة. إنه لا يوجد مصطلح مقبول دوليا لتسمية هذه الوحدات و إننا، هنا سنستعمل مصطلح "كلمة" (أو وحدة دالة).

إن الكلمة ككل دليل هي وحدة ذات وجهين: وجه مدلول وهو معناها أو قيمتها ووجه دال يبينها بصورة صوتية وهو مركب من وحدات من التقطيع الثاني، هذه الوحدات تسمّى **الصويتات**.

في القول الذي نستخدمه هنا توجد اربع كلمات، ثلاثٍ منها صادف أن وافقت ما يسمى بالألفاظ في اللسان الجاري وجع، فلان، رأس؛ أما "ـه": فلـ: (هو). وليس معنى هذا أنه يستخلص من ذلك أن: "كلمة (و.د)* ليس إلا معادلا علميا لـ: لفظة، ففي لفظة، كـ: "ضربنا" توجد كلمتان: "ضرب" التي تدل على ضرب معين من الأحداث و "نا" التي تشير إلى المتكلم وشخص آخر، أو مجموعة من الأشخاص معه.

إننا لا نميل إلى التمييز بين الكلمات من مثل "ضَرَبَ" والكلمات من مثل "نا" بمقابلة الوحدات الدلالية (الدلاليات) بالوحدات النحوية (النحويات) التي ليس لها إلا أشكال لأن ذلك غير صحيح؛ كما أننا لا نميل إلى الإشارة إلى الوحدات الأولى فنعتبرها معجميات بمعنى من كلمات المعجم. سنرى في ما سيأتي (19.4) أن التمييز الأساسي ليس بين الكلمات المعجمية والكلمات النحوية ولكن بين الكلمات التي تشير إلى علاقة والكلمات الأخرى.

من الأفضل تفادي المصطلح المبهم: "نحوي" الذي يشير عند كثير من المؤلفين إلى الدليل الأدنى أي إلى الكلمة " عندما يستجيب فقط لشروط خاصة تختلف من مؤلف إلى مؤلف آخر.

1-10- الشكل الصفي والخاصة الصوتية :

كل لسان يظهر إذن في **شكله الصفي** لأقوال تمثل ما يسمّى غالبا مدرج الكلام وهذه الصيغة الصفية للغة البشرية ناجمة في نهاية التحليل عن **خاصيتها الصوتية**؛ فالأقوال الصوتية تجري ضرورة في الزمن وتدرك ضرورة بالسمع كسلسلة متوالية. إن الوضع يختلف تماما عندما يكون التبليغ من نوع الرسم

* و.د = وحده دلالية

ويدرك بالبصر فالرسام، حقا يرسم عناصر لوحته بطريقة متتابعة، ولكن المشاهد يدرك الخطاب ككل أو يوجّه اهتمامه على التوالي إلى عناصر من الخطاب وفقا للترتيب الذي يرتضيه دون أن يؤثر على قيمة الخطاب في شيء. فنظام بصري للتبليغ كذلك الذي تمثله لوحات المرور ليس صفيّا ولكنه ذو بعدين، إن الخاصيّة الصفيّة للأقوال تفسّر توالي الكلمات (الوحدات الدالة) والصويتات. في هذه المتواليات تكون **لترتيب الصويتات قيمة تمييزية** تماما كقيمة اعتبار هذا الصويت أو ذاك، فالدليل "ألم /ءـَ ل ـَ م/ يحتوي على نفس أصوات الدليل "أمل" /ءـَ م ـَ ل/ ولكن دون أن يلتبس به. والوضع يختلف بالنسبة للكلمات. صحيح أن الصياد يقتل الأسد يعني شيئا مغايرا لِـ: الأسد يقتل الصياد، لكنه ليس من النادر أن يتغيّر موضع دليل مّا في القول دون تغيير ذي بال للمعنى، مثل سيحضر يوم الثلاثاء ويوم الثلاثاء، سيحضر، هذا وإنه من المتواتر أن تنعم مجموعات من الوحدات الدالة بنفس الحرية لأن علاقاتها ببقية القول يَسِمُها إما معناها مثل (حدثت كارثة الليلة البارحة، الليلة البارحة حدثت كارثة) وإما إحدى الوحدات الدالة المعنية بالأمر والتي تقوم بهذه الوظيفة بالذات مثل: عبر التلال الطريق أقرب أو الطريق أقرب عبر التلال.

1-11- التقطيع المزدوج والاقتصاد اللغوي :

إن نوع التنظيم الذي عرضناه سابقا يوجد في كل الألسن التي تمّ وصفها حتى اليوم ويظهر أن هذا التنظيم قد فرض نفسه على المجموعات البشرية بصفته الأنسب إلى حاجات الإنسان وإمكانياته. لاشيء غير الاقتصاد الناجم عن المتكلمين يمكّن من الحصول على أداة للتبليغ، أداة ذات استعمال عام وقادرة على إيصال معلومات بمقدار مهول وبجهد زهيد.

لو انعدم التقطيع الأول الذي يمثل التجربة في كلمات متوالية لكان وافق إلى إرسال لخطاب ضربا معيّنا من التجربة بحيث إن أية تجربة جديدة مفاجئة، يستحيل تبليغها. إن التقطيع إلى كلمات يمكّن من صياغة إئتلاف مهمل لمحاولة تبليغ تجربة لم تكن المجموعة تملك لها دالا احتياطيا. هذا ما يلجأ الشاعر إليه على الدوام، ولعل هذا هو منطلق قدر الصنف البشري المتميّز.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

وعلى العكس من ذلك فإن قائمة صويتات لسان مّا، **هي قائمة مغلقة**، فالقشتلية مثلا تميّز بين 24 صويتا لا أكثر ولا أقل. والذي يجعل من العسير الإجابة عن السؤال: كم عدد صويتات اللسان "س"؟ هو أن السن الحضارة التي تستعمل في بقع واسعة لا تمثل وحدة مثالية ثم إنها تختلف قليلا من طبقة إجتماعية إلى طبقة أخرى ومن جيل إلى جيل آخر. هذه الاختلافات لا تمنع عموما التفاهم ولكنها يمكن أن تجرّ إلى فروق في جرد الوحدات المتميزة منها (الصويتات) والدالة (الكلمات) أو أدلّة أكبر. وهكذا فإن الاسبانية المستعملة في أمريكا تمثل غالبا 22 صويتا عوضا عن 24 صويتا. إن نوع الفرنسية التي يستعملها المؤلف يتألف من 34 صويتا ولكن من المتكلمين الباريزيين المولودين سنة 1940 من له نظام صويتي بـ 31 صويتا وهو أمر غير نادر.

1-14- ما اللسان ؟ :

يمكننا الآن محاولة التعبير عما نعنيه بـ "لسان" **فاللسان أداة تبليغ يتم وفقها تحليل التجربة البشرية بكيفية مختلفة، عند كل قوم إلى وحدات ذات محتوى دلالي ومركب صوتي هي الكلمات وإن المركب الصوتي يتقطع بدوره إلى وحدات متمايزة متوالية هي الصويتات وتكون بعدد محدود في كل لسان، إلا أن طبيعتها وعلاقاتها المتبادلة تختلف ايضا من لسان إلى لسان آخر.** يتضمن هذا : -1- أننا نخصص مصطلح لسان للإشارة إلى أداة تبليغ خاضعة للتقطيع المزدوج ومتجلية صوتيا -2- أنه ما عدا هذا الأساس المشترك مثلما يبينه المصطلحان اللذان سبق ذكرهما: "مختلفان" و "تختلف"، لاشيء يعد لسانيا حقّا يتفلت من الاختلاف من لسان إلى لسان آخر. ففي هذا المعنى يجب أن نفهم التأكيد الداعي إلى كون الظواهر اللسانية اعتباطية أو عرفية.

1-15- على هامش التقطيع المزدوج :

كل الألسن تمثل ضرب التنظيم الذي وصفناه آنفا، لكن هذا لا يعني أن كل الألسن لا تلجأ إلى وسائل لا تدرج في إطار التقطيع المزدوج -ففي العربية مثلا يغلب أن لا تكون الصيغة الاستفهامية للقول موسومة إلا بالارتفاع التنغيمي للصوت في آخر مفردة وهكذا نميّز جيّدا بين الإثبات في: ارتفع ثمن الخبز، والاستفهام في: ارتفع ثمن الخبز وهذا يعني أن ارتفاع الصوت في ارتفع ثمن الخبز يقوم بنفس دور "هل ارتفع ثمن الخبز ؟" وهكذا يمكننا أن نقول إن

هذا المنحنى التنغيمي دليل حاله كحال "هل"، له مدلول الاستفهام وله دال يدرك: ارتفاع الصوت؛ ولكن في الوقت الذي يخضع فيه دال "هل" للتقطيع الثاني بتوالي أصواته /هـ ـَ ل/ وإلى التقطيع الأول بحيث إنه يجد مكانه في تعاقب الكلمات فإن دالّ المنحنى التنغيمي ليس له ممّا بيّنا شيء. والحق إن هذا الدال يحتل موقعا خاصا في مدرج الكلام ولكنه يطابق إن صح التعبير وحدات التقطيعين ولا يمكن تحليله إلى متوالية من الصويتات. إن الظواهر اللسانية التي لا تخضع للتقطيع إلى صويتات غالبا ما تسمّى "ما فوق المقطعية" وتكوّن فصلا بعنوان "**التنغيم**" ينفرز عن **وظائف الصويتات** حيث تعالج وحدات التقطيع الثاني.

1-16- الخاصية غير التمييزية للتنغيم :

يوجد تقابل أساسي بين الاختلاف النغمي الذي يميّز بين الاثبات في: "ارتفع ثمن الخبز" وبين الاستفهام في: ارتفع ثمن الخبز؟ "؛ والإختلاف بين صويتين؛ ينجم عن وظائف أعضاء النطق في بداية أي قول كان، إرتفاع في الصوت يطابق توترا تدريجيا كما ينجم عنها في نهاية القول انخفاض للصوت مناسب لاسترخاء متدرج. فإذا لم يحدث ذلك الانخفاض فإن السامع يبدو له أن القول لم ينته وأنه يطلب مثلا تكملة في شكل إجابة عن سؤال. إنه بناء على ما ذكر نجعل من: "ارتفع ثمن الخبز؟" عدلا لـ: ارتفع ثمن الخبز؟. إن ذلك لا يعني أن ارتفاع الصوت نهاية القول ذو قيمة حدّ محددة، تقابل قيمة معينة عند انخفاض الصوت: إن المعنى الصحيح للقول يختلف بحسب الدرجة التي يصل إليها الصوت في علوّه وانخفاضه. فالنغمة شديدة الانخفاض تتضمن التوكيد القوي، ويكون الإثبات اقل قطعية كلما كان انحدار النغمة أقل سرعة، وعند ارتفاع المنحنى التنغيمي تمرّ دون شعور إلى اثباتات يُلَوّنُهَا الشك، وإنْ تزايد الشك نمرّ إلى أسئلة يقوى فيها الشك. ولا يتعلق الأمر بأي حال من الأحوال بارتفاع يتمثل في أطوار بحيث يكون اختيار مستوى معين مؤدّ إلى قول مختلف تماما، ولكن الأمر يتعلق بوضعية ينجرّ فيها عن أيّ تغيير (أيا كان نوعه) للمنحنى الصوتي، تغيير مواز ومتناسب مع معنى القول.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

إنه من الضروري أن نميّز بين المعطيات اللسانية مختلفة الأنواع مثلما تظهر في الأقوال [من جهة] وبين الأحداث اللسانية متصورة على أنها جزء من رصيد يملكه الشخص الذي يريد أن يبلغ شيئا مّا [من جهة أخرى]. ليس على اللساني باعتباره لسانيا أن يبيّن أين توجد لدى المتكلم هذه الأحداث اللسانية جاهزة، وليس عليه أيضا أن يبيّن بأية طريقة يساق هذا المتكلم إلى اختيار مناسب لمقتضى حاجاته التبليغية؛ غير أنه من الواجب عليه أن يفترض وجود تنظيم نفسي عضوي أثناء تعلم اللسان من لدن الطفل أو في مرحلة لاحقة عندما يخص الأمر تعلم لسان ثان -مكيّف بحيث يمكن وفقا لمعايير ذلك اللسان ولمعايير التجربة التي نبلغها أو نهبها- من تحليل الاختيارات الضرورية؛ إن هذا التكيّف هو الذي نسميّه بحق لسانا. هذا اللسان لا يظهر دون شك وجوده إلا بواسطة الخطاب وإن شئت قلت بواسطة أفعال الكلام؛ ولكن الخطاب وأفعال الكلام ليست هي اللسان. إن التقابل الذي هو تقليدي بين **اللسان والكلام** يمكن أيضا أن نعبر عنه بمصطلحي **الوضع والبلاغ**. فالوضع هو تنظيم يمكن من تحرير البلاغ الذي به نقارن كل عنصر من البلاغ حتى نستخلص المعنى.

إن هذا التمييز المفيد جدا بين اللسان والكلام يمكن أن ينجرّ عنه الاعتقاد بأن الكلام يحتوي تنظيما مستقلا عن تنظيم اللسان، والحالة هذه، فإنه لابد من الاقتناع بأن الكلام لا يملك إلا أن يجسّد تنظيم اللسان. إنه لا يمكننا أن نصل إلى معرفة اللسان إلا عن طريق تحليل الكلام والسلوك الذي يحدده عند السامعين، ولتحصيل هذا لابد من أن نغض الطرف عن ما يرد في الكلام من نبر للصوت خاص بشخص مّا، وهو أمر غير لساني ذلك لأنه لا يكوّن جزءا من العادات الاجتماعية المكتسبة طوال مدة تعلم اللسان.

1-19- كل وحدة تفترض اختيارا :

من بين الأحداث اللسانية ما يظهر بمجرد تحليل قول مّا ومنها ما لا يمكن تحديده إلا بمقارنة الأقوال المختلفة، وهذه وتلك هي أحداث للسان، لنأخذ القول التالي: "هذا دور جيد"، /هـ ـ ذ ـ ا د ـ و ϕ ر ـ ن ج ـ ـ ي ـ ϕ ـ ي ـ = د ϕ/، إن نحن افترضنا أن التحليل إلى كلمات وإلى صوينات قد تمّ بعد الكتابة الصوتية، فإن هذا القول يفيدنا ببعض الصفات التي لا يستهان بها حول بنية اللسان : فـ/ج ـ ـ ي ـ ϕ = ـ ي ـ د ϕ/

يمكن أن تظهر بعد دور وقبل جدّا؛ والصويت /د/ يمكن أن يظهر آخر القول والصويت /ر/ يمكن أن يظهر آخر الكلمة، وهلم جرا. كل هذه الخيارات تكوّن جزءا من مركب العادات الذي تحلل وفقه التجربة البشرية (في العربية) وهي ترجع إلى اللسان. وهذه العادات لها دون غيرها من الصفات ميزة الظهور بمجرد النظر في التوزيع المتوالي للوحدات في القول بالنسبة للساني. غير أنه إذا كان لنا أن نقول شيئا حول الاختيارات الائتلافية لِـ /د ـ و ϕ ر/ فإن هذا المقطع من القول قد تبيّن أنه يمثل وحدة خاصة متميزة عن / هـ ـ ذ ا/ وعن /ج ـ ـ ي ـ ϕ ـ ي ـ د/. وللوصول إلى هذه النتيجة كان لابد من ملاحظة أن /ج ـ ـ ي ـ ϕ ـ ي ـ = د/ في هذا السياق تطابق اختيارا مخصوصا من بين عدد من النعوت الممكنة؛ إن مقارنة أقوال أخرى عربية بينت أن السياقات التي تظهر فيها /ج ـ = ـ ي ـ ϕ ـ ي ـ = د/ قد تظهر فيها أيضا /م ـ م ـ ـ ϕ ت ـ = ا ز/ (ممتاز)، و/ر ـ د ـ = ـ ي ـ ء/ (رديء) إلخ ...

وهذا يدل على أن المتكلم قد طرح عن قصد إلى حدّ ما كل الوحدات المنافسة التي كان بإمكانها أن تظهر بين "دور" و"جدّا"، ولكنها ما كانت لتناسب في هذا المقام. يمكن القول إن السامع يفهم العربية إن هو تمكّن بحكم التجربة من تحديد الاختيارات المتتالية التي كان قام بها المتكلم؛ وإن هو عرف أن "جيّد" إضافة مميّز عن "هذا" وعن "دور" وأيضا أنه ليس من المستبعد أن اختيار "جيّد" عوضا عن "رديء" يؤثّر في سلوكه.

إن ما قيل عن الكلمات يقال عن الصويتات إذا كان بإمكاننا أن نقول شيئا عن الاختيارات الإئتلافية لِـ /د/ في "دور" فإن /د/ قد تبيّن أنها وحدة خاصة مميزة لاسيما عن - (الفتحة) التي تلحقها في "دور"؛ وهنا أيضا نلاحظ أن /د/ تطابق اختيارا خصوصيا، ذلك أن المتكلم يكون عن غير قصد -لا ريب- قد طرح /ث/ التي كانت تؤدي إلى ثور أعني إلى كلمة أخرى (ثور) وطرح /ط/



الأهلية منهم التي تحتفظ بالتمييز التقليدي وهكذا اقدم عرضا حول الأحداث لا يقصى فيه استعمال الكهول والحق إنه من اللائق أن يكون الوصف آنيا صرفا بمعنى مؤسسا فقط على ملاحظات أجريت في مدة من الزمن قصيرة حتى يمكن اعتبارها عمليا نقطة على محور الزمن. وتسمّى زمانية كل دراسة تحتوي على مقارنة الاستعمالات المختلفة لنفس اللسان بنية استخلاص النتائج فيما يخص اتجاه التطور. إن الظواهر المشار إليها سابقا والمتعلقة بصائت "بات" وصائت "بات" يمكن أن يكون إمّا موضوع صوغ آني: تقابل /a/-/à/ ليس عاما في الاستعمال الحالي وإما موضوع صوغ زماني تقابل /a/-/à/ يتجه نحو الاضمحلال في الاستعمال في باريس.

2-3- وجوه الاستعمال :

معلوم أن الألسن ليست بالضرورة مطابقة لنفسها فوق كل المناطق التي تستعمل فيها وقد تبلغ الاختلافات الحد الذي تصير فيه محاولات التفاهم مشكوكا في جدواها -في هذه الحالة نقول إن اللسان يتفرع إلى لهجات عديدة وأن كل وصف يجب أن يخصص أي لهجة يعني -غير أنه قد توجد اختلافات أقل عمقا لا تؤثر في التفاهم؛ اختلافات يمكن ملاحظتها مثلا بين لهجة التلمساني ولهجة القسنطيني. إن أغلب سكان تلمسان لا يميزون بين /ق/و/ء/ هنا أيضا يكون للساني الذي يصف العربية في الجزائر الاختيار في: إما إقصاء الاستعمالات الغريبة من وصفه وإما ملاحظة التمييز بين /ق/و/ء/ ليست عامة في الجزائر. هذا وإنه لا يوجد مجتمع كبير العدد نسبيا متجانس لسانه. ولكن إذا حدد الواصف مجال الوصف وفق رغبته فإنه عليه أن يعرض الاختلافات التي يلاحظها في ذلك المجال باعتبارها وجوها لنفس الاستعمال وليست حقيقة استعمالين متمايزين.

2-4- المدونة :

إن الوصف الآني ليس حكرا على الألسن الحديثة التي يمكن أن نسمعها ونسجلها لاشيء يمنع اللساني من محاولة وصف لاتينية "سيسيرون" أو عربية الجاحظ. إنّ عمله سيكون في هذه الحالة أكثر تعقيدا لأنه مجبر أن يستكشف من وراء الخط نظاما من الصويتات لا ينعكس في الخطّ إلا إجمالا وبالمقابل فإن الذي يمكن أن ييسّر عمله هو أنّ المؤلفات المحفوظة لـ "سيسرون" أو للجاحظ تكوّن كلا حدّ محدد يخضع بسهولة للمعالجة الإحصائية، ذلك ما يمكن من

استخلاص النتائج الدقيقة- ومما لاشك فيه أنّ الآثار الأدبية لفترة معيّنة تعطينا بالضرورة فكرة غير وافية حول اللسان المقرر- ولكن إذا تعذرت كل المنافذ إلى ذلك اللسان فإنه لا ضير في اعتبار تلك الوثائق وثائق نموذجية. إن ظروف العمل هذه تمثل مزايا مغر استعمالها عند الاهتمام بوضع لسان حديث وذلك بأن نكوّن لأنفسنا "مدونة" بمعنى مجموعة من الأقوال مسجّلة على شريط مغناطيسي أو مكتوبة إملاء. وإذا تم جمع تلك المدونة أصبح تغييرها متعذرا وهكذا يوصف اللسان طبقا لما وجد في المدونة المذكورة. إن الاعتراض النظري الذي يمكن أن نثيره من هذه الطريقة في جمع المدونة هو أن باحثين ينظران في نفس اللسان ولكن بناء على مدونتين مختلفتين يمكن أن يصلا إلى وصفين مختلفين لنفس اللسان أما الاعتراض العملي فهو: أن الواصف يمكن في أيّة لحظة أن يشعر بالحاجة إلى تكملة معلوماته أو التحقق منها، أيضا إنه إذا امتنع من الاستجابة إلى تلك الحاجة عند الشعور بها فإنه سيزيح بالطوع بعض جوانب الحقيقة، ليس لأنها غير وجيهة، ولكن لأنها أفلتت منه في البداية.

2-5- الوجاهة :

كل وصف يفترض استصفاء، وكل موضوع، مهما بدا بسيطا أوّل وهلة، يمكن أن ينكشف ما به من تعقيد لا حد له. هذا وإن الوصف محدد بالضرورة، وهذا يعني أن بعض صفات موضوع الوصف يمكن إبرازها. إن ما ينبه إليه باحثان مختلفان غالبا ما لا يكون هو. فأمام نفس الشجرة قد يلاحظ ملاحظ عظمة مظهرها والسمة الهائلة لورقها، وقد يلاحظ آخر تشققات الجذع فيها وحفيف أوراقها؛ أما الثالث فسيتدرب على دقائق الأرقام فيها؛ وأما الرابع فسيشير إلى الشكل الخاص لكل عنصر منها. فكل وصف من هذه الأوصاف مقبول بشرط أن يكون منسجما أي أن يبنى على وجهة نظر محددة. وحالما تحدد وجهة النظر، فإن بعض الصفات المسمات وجيهة تحفظ، أما الصفات الأخرى غير الوجيهة يجب إزاحتها بلا حرج. إنه من البيّن أنه من وجهة نظر الناشر لا يعدّ لون الأوراق ولا شكلها وجيها وكذلك الأمر بالنسبة للرسام في ما يخص الطاقة الحرارية للخشب، فكل علم يقتضي مسبقا اختيار وجهة نظر خاصة. فالوجيه في علم الحساب هو الأرقام، وفي الهندسة الأشكال، وفي الحراريات الحرارات. وليس الأمر بخلاف هذا في موضوع الوصف اللساني. لنأخذ جزيئا أيا كان من مدرج الكلام، فإنه يمكننا أن نعتبره ظاهرة فيزيائية أي سلسلة من الذبذبات يسجلها عالم الصوت بمساعدة آلاته ويصفها بمصطلحات



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

أمامه حتى أولئك الذين يرون في هذه الطريقة المسلك النظري الوحيد المقبول.
عندما نعلم أن /نَ ـ و ـ اً/ في: نوى النوى تدل على شيء معين وأن /نَ ـ و ـ اً/ في نوى المترل تدل على حدث معيّن يقوم الأشخاص به، فإننا لن نضيع وقتنا في البحث عما إذا كانت /ن ـ و ـ ا/ نوى في هذه الحالة وحدة تعود إلى نفس قسم /نَ ـ و ـ اً/ (نوى) أي إلى قسم الأسماء، وهذا ما يمكّن من تحديد /نَ ـ و ـ اً/ في السياقين. والخلاصة إننا لا ننصح باستعمال طريقة تتجاهل تماما معنى الوحدات الدالة ولكننا مع ذلك ننبه إلى الأخطار التي يتعرض لها الباحث عندما يتصدّى دون حيطة لمجال الدلالة.

2-8- الشكل، ضمان للخاصية اللسانية :

هذه الأخطار عندما يتفحص الباحث "لسانه الأم" هي تلك التي يتضمنها استعمال الاستبطان: بما أنني أتكلم العربية وبما أن كلمة "بيت" هي كلمة عربية، فما عليّ إلا أن أبحث في ذاتي عما تمثله كلمة "بيت" وهكذا سأحدد معنى هذه الكلمة. للأسف عندما أحاول أن أرى ما تثيره في هذه الكلمة ستظهر لي صورة تتفاوت في التركيب عناصرها؛ وإني على يقين من أن هذه الصورة بما لها من صفات ليست هي الصورة التي تثيرها الكلمة لدى شخص آخر. إنه من الواضح إذن أن هذه الصورة -بالإضافة إلى ما ذكر- التي تتغيّر لدي من حين إلى آخر- لا يمكن أن تعتبر "معنى" الكلمة الشامل لكل ناطقي اللسان العربي. كل ما أعلمه عن معنى "بيت" هو أن نوعا من ضروب التجربة مرتبط لدي بالدال:/ ب ـــ ي ϕ ت/ أو مرتبط ببديله الخطي، بيت؛ وأن هذا الربط موجود لدى الأشخاص الآخرين متكلمي اللغة العربية - الدليل على ذلك يظهر في سلوكهم، بما في ذلك سلوكهم اللساني الذي وفقه تقع فيه "بيت" تماما في السياقات التي يمكنني أن أضعها فيها- من الواجب أن نلاحظ أن رؤية بيت مّا لا تثير آليا الشاكلة اللسانية المرتبطة بها وأنه بالموازاة إلى ذلك لا ينجم بالضرورة عن استعمال كلمة بيت تذكر تجربة معيشة بل على العكس من ذلك فإنه من المحتمل أن لا يوجد شيء من هذا القبيل في أغلب الحالات؛ أيضا إن قولا مّا لا تصطحبه -عامة- سلسلة من الذكريات أو من التنويرات المطابقة لكل وحدة من الوحدات الدالة المتتالية. إن ذلك لا يتوافق مطلقا مع سرعة الخطاب. ليس من مهام اللسانيّ الحكم في هذا الأمر بل

يكفيه أن يقول: إن لاشيء يمكن أن يشخص كجزء من أجزاء اللسان إلا إذا كان مشتركا بين عدد كبير من الأشخاص- إن هذا الأمر ليصدق على المعنى مثلما يصدق على أي شيء آخر و يلغي الاستنباط كطريقة للملاحظة لأنه لا يصيب أبدا إلا شخصا واحدا، وذلك الشخص بالاضافة إلى ذلك يكون في ذات الآن ملاحظ وموضوع ملاحظة ويتم ذلك في ظروف غير مناسبة بالمرة لمواصلة البحث الجدي إن ما هو -كل متكامل- مشترك بين عدد كبير من المتكلمين وملاحظ مباشرة يتمثل في ردود الأفعال اللسانية وغير اللسانية على الخطابات الصوتية التي تنشيء التبليغ. لا يوجد إذن أي "معنى" في اللسانيات لا ينطويه الخطاب الصوتي شكلا: وكل اختلاف في المعنى يطابقه بالضرورة اختلاف في المبنى في موضع ما من الخطاب. قد تثار قضية المشترك اللفظي؛ ولكن مقطعا مثل: يحيى/ يـ ـ ح ϕ يـ ـ اً/ لا معنى حقيقيّ له خارج سياقات مختلفة شكلا (سميّته يحيى ليحيا) وهذه السياقات هي التي تنشيء قيمته إما إسما لشخص وإما للدلالة على حدث غير منقطع.
إن لهذا الأمر تبعات ينبغي أن لا تهمل أبدا: إن العنصر اللساني ليس له في الواقع معنى إلا في سياق ومقام معينين. في حد ذاتها لا تحمل الكلمة أو الدليل الأكثر تركيبا إلا افتراضات دلالية لا يتحقق بالفعل إلا بعضها فقط في فعل من الكلام محدد لنعد ثانية إلى مثال: بيت في أفعال الكلام التالية: لقدْ كرّم الله آل البيت وأجمل البيتين: بيت من الشعر وبيت من الشعر، فالسياق يبرز في كل حالة بعض الافتراضات ويهمل الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أي وحدة نحوية كانت أو معجمية لا يمكن أن تنتمي إلى لسان مّا ما لم تتجسم في فروق صوتية تخصّصها وتجعلها تقابل الأصناف التي من ضربها، فلا يمكننا مثلا أن نتحدث عن صيغة للحدث المنقطع في لسان ما لا تتوفر فيه صيغة للحدث غير المنقطع مثل: انتظرت وأنتظر.

2-9- أخطار الترجمة :

عندما نتفحص لسانا لا نلم به إلا قليلا فإننا لا نعي معنى الوحدات الدالة إلا بترجمتها إلى لساننا الأم. "والخطر في هذه الحالة أنه قد يستهوينا تأويل اللسان الموصوف حسب اللسان الذي إليه نترجم. فإذا كانت لي بالنسبة



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

الهواء ليس من الداخل نحو الخارج، ولكن من الخارج نحو الداخل- عمليّا -مع ذلك- إنه من المفيد أن نعتبرها عادية تلك الأصوات التي تحدث عن زفير الهواء الآتي من الرئتين. هذه الأصوات موجودة في كل الألسن وكثير من الألسن لا تعرف غيرها. إننا في ما سيأتي عندما لا نحدد مصدر الهواء في حركيته يجب أن نفهم أن الأمر متعلق بالرئتين.

2-14- الحنجرة :

إن أول عضو يمكن أن يكون حاجزا لمرور هواء الرئتين هو الحنجرة التي تقع أعلى "تفاحة آدم". تتكون الحنجرة من انعطافين عضليين لجوانب الطرجهالي. هذه الانعطافات تدعى **الأوتار الصوتية**. والأوتار الصوتية إذا تقاربت يمكن أن تسد تماما مرور الهواء وهذا ما يحدث قبل السعال. عند التنفس تنفرج الأوتار الصوتية انفراجا مبينا وهكذا يمرّ الهواء طليقا عبر الحنجرة في الاتجاهين. أثناء الكلام كثيرا ما تلامس الأوتار الصوتية بعضها فتهتز بضغط من الهواء المتصاعد. إن ما ينجم عن اهتزازات الحنجرة يسمى الصوت.

2-15- الصوت :

يكاد بالضرورة يصحب الهواء بعض المخارج الفمية التي هي من الأساس دوين القليل قرعها كي تسمع في ظروف عادية. وهذا خاصة حال **الصوائت** التي تمثل الصوت وقد تنوع تلوينه بحجم تجاويف الفم وبتغيير شكلها ويكون هذا بمشاركة تجاويف الأنف أو بعدم مشاركتها. ولكن الصوت يمكن أيضا أن يصحب قرعا حد مميز حتى يدرك دون مساعدته: إن أول كلمة: "سلام" قوامه احتكاك حد محسوس دون الاعتماد على الصوت. نقول إن [س] من سلام مهموس بينما [ز] من زهر **مجهور** أو **مصوّت**. إن الجرس المتراوح بين الثقل والحدة للصوت عليق أولا بطول الأوتار الصوتية: فالمرأة لها حنجرة أقل طولا من حنجرة الرجل وعليه فإن صوتها بالطبيعة أكثر حدة -هذا وإن هذا الأمر عليق من جهة أخرى بدرجة ضغط الأوتار الصوتية وهذا الضغط أو الاعتماد يمكن للمتكلم أن يغيّره وفق رغبته، وهو ما يكوّن لحن (نغمة) الكلام وإنّ الاستعلامات اللسانية لهذا اللحن هي التي سنطيل فحصها في ما سيأتي (3 - 24 ← 32).

2-16- الحلق :

يدعى "حلق" جزء قناة الزفير الموجود أعلى "تفاحة آدم"، وفويق ذلك ينفتح الطرجهالي على تجويف، الحلق، والذي يمكن أن نسميه بـ: أقصى الفم. عندما ننظر إلى مؤخر فمنا فإننا نلمح -تماما في المؤخرة- الجانب الخلفي للحلق، فالحنك الأعلى، الذي يكوّن قبة الفم ينتهي نحو الحلق بانعطاف المخاطي ويسمّى صفاق الحنك ويكون قوسين مفصولين داخل فضاء الفم بلسيّن وهو اللهاة (منها الصفة لهوي لتسمية الانتاجات الصوتية الناجمة عن حركة اللهاة). إن الحلق يتصل بتجاويف الأنف ما لم ينطبق صفاق الحنك على جانبه الخلفي -يبدأ المريء من الجانب الأسفل والخلفي للحلق. من المفيد (اعتبار) تصور الحلق كمزلقان: وهو ما يطابق الطريق التي تمر عليها السيارات ما لم تنزل الحواجز وهو ما يمثل بالمعنى التام قناة التنفس التي تبتدأ من تجاويف الأنف وتتواصل إلى ما بعد الحلق بالقصبة نحو الرئتين. أما الذي يطابق السكة الحديدة فقناه الهضم التي تبدأ من الفم وتتواصل إلى ما بعد الحلق بالمرىء نحو المعدة- وإن لقمة الطعام التي يدفعها اللسان إلى الخلف وإلى الأسفل شبيهة بالقطار الذي لا يمر إلا إذا سدّت الحواجز التي توقف حركة الطريق بمعنى -في هذه الحالة- مرور الهواء. وهذه الحواجز هي من جهة صفاق الحنك الذي يرتفع مثل ما وصفناه مسبقا، ومن جهة أخرى الغلصمة التي تغطي فوّهة الطرجهالي والتي تمنع جزئيات الطعام من أن تضل طريقها إلى أقصى الحلق. إن الغلصمة والمرئ لا يتدخلان مطلقا في سعي الكلام. إننا عندما نتكلم يكون صفاق الحنك إما مرفوعا وإما مسدولا. فإذا كان مسدولا يمرّ جزء من الهواء المرفور بتجاويف الأنف ويجري إلى الخارج دون أن يلتقي بحاجز وذلك الهواء سيضيع من الفم حيث تتخذ معظم الأصوات صفاتها المميزة وستكون الأصوات أكثر تميزا إذا مرّ عمود الهواء كله بالفم بمعنى إذا كان صفاق الحنك مرفوعا. وعليه ففي اثناء الكلام، إن وضع هذا العضو تواتره أكثر صراحة من الوضع الذي يمكن من مرور الهواء من الحلق إلى تجاويف الأنف.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

2-20- الصوائت المتوسطة، الحياديّة والمركزية :

بالإضافة إلى الصوائت المتميزة بالمخارج المتطرفة (كسر اقصى، دفع أقصى، دفع أقصى تجاه مقدمة الفم، إلخ...) فإننا نجد مخارج متوسطة ذات طبيعة متنوعة يمكن أن نميّزها بالرجوع إلى المخارج التي كنا وصفنا في ما سبق؛ إن صائت اللسان الروسي byl، مثلا، له نفس درجة الانغلاق الذي لـ [i] و [u]، فالشفتان تنكسران مثلما تنكسران لـ [i] ولكن النقطة الأعلى لكتلة اللسان ليست متقدمة جدا مثلما هو الحال بالنسبة لـ [i] ولا متأخرة جدا مثلما هو الحال بالنسبة لـ [w] يقال للصائت إنه حيادي عندما يكون لا منغلقا جدا ولا منفتحا جدا ويكون صراحة لا أماميا ولا خلفيا كما يكون لا مكسورا ولا مقببا والصائت الحيادي يوسم [ə]، وهو ذلك الذي نسمعه من المرء عندما يتردد في ما سيقول (أ... أ...) أو في آخر كلمة Villa الأنجليزية أو في آخر الكلمة الألمانية Gabe. إن الصائت الذي يميل مخرجه إلى مخرج الصائت الحيادي يسمى صائتا مركزيا.

2-21- الصوائت القوية والصوائت الضعيفة :

تبعا للكيفية التي يودي بها الصائت إمّا باعتماد كبير على الأعضاء، وخاصة اللـ..، وإما بلين نسبي فيقال إنه قوي أو يقال إنه ضعيف- وهذا هو الأساس في الفرق في الفرنسية ما بين: Sic و Soute[1] بالصائتين القويين [i] و [u] وبين الإنجليزية: sick و soute[2] بالصائتين القويين [i] و [u]. فالصائت الضعيف يوحي في الواقع بجرس أكثر انفتاحا، والمرء غير المجرب يمكن أن يخلط بين [i] و [e]، أو بين [u] و [o]. والتمييز قل مات كون له قيمة إلا بالنسبة للصوائت الأكثر انغلاقا.

2-22- صوائت الغنة :

في وضع كل الصوائت التي وصفناها حتى الآن كنا افترضنا أن صفاق الحنك يكون مرفوعا فيجعل كل الهواء الآتي من الرئتين يتمركز في تجويف الفم. ولكن سدول صفاق الحنك الذي يمكّن جزءا من الهواء أن يتسرب عبر الأنف- لا يمنع من إخراج بعض الصوائت. إنه يضيف له بعض الغنة الخيشومية الخاصة. ولكننا عندما نمنع الفم من بعض الهواء المتوفر فإننا ننقص من وضوح الفوارق بين الأداءات الصائتية المتنوعة. فللفرنسية بعض صوائت الغنة في: fond[3], vent, un, vin.

1 مخزن: soute كذا: sic . 2 سخام: soot مريض: sick . 3 قاع fond ريح vent خمر vin

ليس للسان بالضرورة نفس الأجراس لصوائت الغنة ولغيرها من الصوائت الأخرى والتي تسمى شفهية أيضا. إن الصائت في vin هو النقل الأغن للصائت [ɛ] الذي لا يوجد كصائت شفهي في الفرنسية. إن صوائت الغنة توسم بواسطة العلامة ([~]) فوق الدليل مشيرة إلى الصائت الشفهي المناسب. إن الكلمات التي فيها غنة المذكورة آنفا توسم [æ~]،[oe~]، [va~]، [ʃo~].

2-23- مدّ الصوائت :

لما يكون مدّ الصائت محسوسا يقال إن الصائت مدي. ومد الأداء التصويتي غالبا ما يتبع السياق؛ ولكن ليس من النادر أن لا يختلف مقطعان تصويتيان إلا بالمد: عند كثير من الفرنسيين صائت maître له مد معتبر أكبر من مد صائت mettre[1]، فتوسم الأولى بـ [ɛ˙]، [ɛ:] أو بـ [ɛ˜] والثانية بـ [ɛ] أو إن شئت جلب الانتباه إلى قصرها، تسمها [ɛ̆]. عندما يميز لسان مّا بين الصوائت الطويلة والصوائت القصيرة ليس من النادر أن تكون المدّية أكثر قوة إعتماد وأن تكون القصيرة أكثر لينا. هذا هو حال اللسان الألماني الشمالي في ihm ينطق بها بـ [ɪ] طويل وقوي، أما: im فـ [ɪ] قصير وليّن. إن الصوائت الطويلة معرضة كذلك إلى انقسام المد وهذا يعني أنه أثناء بثها تغيّر الأعضاء تدريجيا مواضعها. وهكذا فإن الأصوات الأنجليزية التي نجدها أحيانا موسومة [i] و [e] غالبا ما تؤدى على التوالي [ii] [ei] (في feed و fake مثلا)[2] بمعنى أنه في الواقع يغلق الفم تدريجيا من بداية البث حتى نهايته.

2-24- الصوامت :

تدعى "صوامت" الأصوات التي لا تسمع جيدا إلا بالاعتماد على صائت يسبقها أو يلحقها.

فالحبسي هو صامت يفترض انسداد قناة الزفير. يمكننا أن نسمع الإطلاق المفاجيء لهذا الإنسداد أمام الصائت التالي: في: [p a]، فانغلاق الشفتين يرتخي في شكل إنفجار أمام الصائت [a] الموالي. يمكننا أيضا أن نسمع القرع الناجم عن ذلك الانسداد عندما نقطع صائتا سابقا. وهذا الذي نسمعه في [a p] هو أساسا القطع المفاجيء لـ [a] بحبس الشفتين. ومع أنه لا يوجد إنفجار دون حبس مسبق، الحبس يسمع في [a p] ولا يسمع في [p a]، فإن المتكلم لا يفكر في التمييز بين [p] المتحرك في [pa] والـ [p] الساكن في [a p].

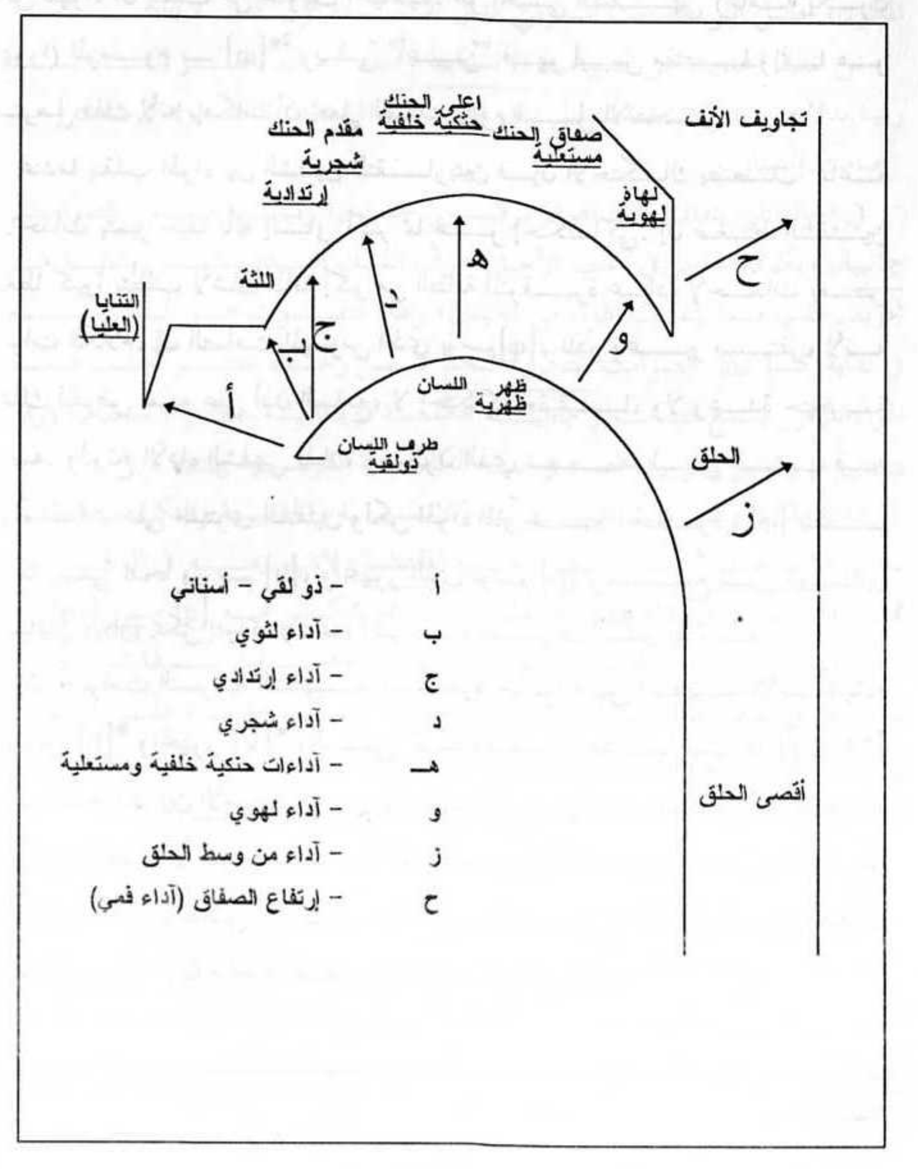
1: وضع mettre معلم : maître
2: غش: fake غذاء: feed



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

رسم الأداءات داخل الفم

الأعضاء التي لاتتدخل في التصويت لم يشر إليها



2–26– الذولقية (الحبسية، التسربية و الانسيابية) :

إن الأصوات الذولقية هي التي تنجم عن حركة طرف اللسان ووفقا لنقطة قبة الحنك حيث يلصق ذلك الطرف؛ سنميّز بين الأصوات الذولقية الأسنانية والذولقية اللثوية والارتدادية.

إن الحبسية الذولقية الأسنانية توسم (كالتالي)، المهموس [t][1] والمهجور [d][2] يمكن أن نسمعها أول "تل" و "دل" والأغن المقابل يوسم [n][3]. لكل هذه الأصوات يرتكز طرف اللسان على الجهة الداخلية للأسنان العليا بحيث تسد الفجوات إنسدادا تاما. ولننتقل من الحبسية [t] و [d] إلى التسربية الموسومة [θ][4] و [δ][5] أو [ق] [ð][5] فإن طرف اللسان ينحدر فيحدث الاحتكاك بين طرف اللسان والثنايا العليا. وبما أننا في هذه الحالة نرى الجهة السفلى من اللسان بين الأسنان فإنه غالبا ما نسمي هذه التسربية بـ: ما بين الأسنانية وهذا ماقد يوحي -خطأ- بتدخل الأسنان السفلي.

إن الحبسية الذولقية اللثوية لا تختلف عن الصوامت السابقة إلاّ لأن طرف اللسان يرتكز فويق الثنايا العليا على الغشاء المخاطي الذي يغطي اللثة من الأسنان العليا. وهذه الصوائت هي التي نسمعها في بداية الكلمات الأنجليزية: two، do، no. وتوسم عامة بواسطة العلامات التي تستعمل أيضا لوسم الذولقية الأسنانية. ففي لسان كاللسان الأنجليزي، حيث إن [t]، [d] و [n] هي ذولقية لثوية فإن التسربية [ق] [ð] تؤدى بين طرف اللسان والجانب الخلفي للأسنان العليا، لكن من حيث السمع إن هذه التسربية لا تختلف إلاّ قليلا عن تلك التي تؤدى دوينها. الفارق الخطّي بين [θ] [ð] من جهة أخرى يستغل، ليس للتمييز بين "اللثوية" وما فويق الأسنانية ولكن لنسجل مثلا الاختلاف بين الصوت الانسيابي [σ] من الاسبانية cada والصوت التسربي [ð] في الانجليزية that.

في وضع الارتدادية يكون طرف اللسان مرفوعا بحيث يتم اتصاله ليس بين طرف اللسان والحنك الأعلى ولكن بين الطرف الأسفل من اللسان والحنك الأعلى. إن الصوامت الحبسية الارتدادية يمكن أن توسم [t]، [d] و [n]. أما التسربية الارتدادية المختلفة جدا عن تلك التي توسم [ق] و [ð] فتنتمي إلى الضرب الذي سنتفحصه في ما سيأتي تحت إسم الصفيرية . إن الصوت الذي يسمع في بداية كلمة run في بعض تنوعات الانجليزية يمكن أن يحدد كصوت انسيابي إرتدادي مجهور.

1- ت 2- د 3- ن 4- ث 5- ذ



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

ولكن بما أن [h] تمثل الإنتقال من وضع الحنجرة المميز هنا لـ [k] إلى الوضع الذي يستلزمه الصّائت فإن النفخ لا يعد صوتا خاصا ولكنه يعد من صفات [k] المسمى **نفخيا** والذي يوسم [K^c] أو [k^h]. الصوامت الحبسية المهموسة في الفرنسية ليست نفخية؛ لكن الحبسية المهموسة في الانجليزية فيها قليل من النفخ.

إنه يمكن أن نؤدي الصوامت الحبسية والحنجرة محفوزة تماما- في هذه الحالة، سيبقى قليل من الهواء محصورا بين الحفز الخاص (الحبس الظهري لـ [k] مثلا) والحفز الذي يحدث على مستوى الحنجرة. وإذا ما رفعنا حافات الحنجرة فإن ضغط الهواء المخزون سيتضاعف وسيمكّن من قطع الحفز الخاص؛ وانقلاع الحنجرة الذي يحدد الهواء القادم من الرئتين سيتبع، مسبوقا مباشرة بالاهتزازات الضرورية لا حداث الصائت الموالي. وسنسمع إذن [k?a].وبما أن [?] تمثل الإنتقال من وضع الحنجرة المميز هنا لـ [K] إلى الوضع الذي يستلزمه الصائت فإننا لا نعدّ الـ [?] صوتا خاصا ولكننا نعده من صفات [k] المسمى منبورا أو انقلاعيا ونسمه في حال الصامت الظهري بـ[K?]. وإذا سبق الارتخاء الحنجري انقلاع الفم بدلا من أن يتبعه فالصامت يسمع وكأنه مجهور **دوين المنبور**، مثل [?g]. سيؤدي إرتفاع الحنجرة إلى إعطاء الهواء المخزون دفعا كافيا يسهل تحقيقه بقدر ما يكون حجم التجويف الكائن بين الحبسين أصغر في المنطلق. وعليه فإن تحقيق [K?] ايسر من تحقيق [t?] وإن كثيرا من الألسن التي لها صوامت منبورة ليس لها [P?]- فالمنبورة وما دوينها ليست نادرة خارج "أوريا" وإن ما نسمه q قي الكتابة الصوتية للعربية غالبا ما يكون حبسيا ظهريا أدخل منبورا.

في إحداث صامت حبسي والحنجرة محفوزة يمكن أن تنزل الحنجرة بدلا من أن ترتفع فينقص ضغط الهواء المخزون إذن، وعندما يرتخي الحفز الفمي الخاص، فإن الهواء الخارجي هو الذي يحدث التفجير بدخوله الفم. في ذات الوقت يتسرب هواء الرئتين عبر الحنجرة فترتعد ومجموع ما يحدث يسمع كأنه مجهور. والأصوات التي تتحقق بهذا الشكل تسمى إرتخائية أو **ساكنة**. وسمها متنوع بواسطة أحرف سميكة ([B]، [D]، الخ) في ألسن إفريقيا السوداء التي فيها هذه الأصوات تتواتر الشفهية و الذولقية أكثر من الظهرية.

2-34-التمطق :

في كثير من مناطق الكرة الأرضية وخاصة في أوروبا يُستعمل نوعان من التمطق القبلة، واللذان هما تمطق شفهي وتمطق ذولقي لثوي يدل على ثورة

الأعصاب وهو إن تكرر عدة مرات يطابق مايرسم كذا: taratata (في الإنجليزية tut tut) في بعض الألسن وخاصة في إفريقيا السوداء يمثل التمطق صوامت عادية قابلة للإتلاف مع الصوائت ويحدث التمطق بإنشاء فراغ في نقطة ما من قناة الزفير بإبعاد الأعضاء بين نقطتين حيث يثبّت الحفز. في وضع taratata تكون نقطتا الحفز في حيز الذولقي اللثوي والظهري المستعلي. ينشئ اللسان فراغا وهو يتغوّر بين تلك النقطتين. يحدث قرع التمطق بارتخاء مفاجئ للحبس الأمامي بحيث يدخل الهواء الخارجي في الفراغ الناشىء بين الحفزين.

2-35- أداءات الفم المعقدة :

نحن نعلم أن أداءات الفم تأتلف بالضرورة مع أوضاع خاصة للحنجرة. لكن مثال التمطق يدلنا على أن أي إحداث صوتي يمكن أن ينجم عن إئتلاف أداءين للفم. ليس من النادر مثلا أن نؤلف بين أداء صامتيّ أيّا كان، شفهيا مثلا، مع وضع الأعضاء اللازم لصائت خاص كـ [I] أو [U]. فالأداءات الصامتية التي تأتلف مع دفع كتلة اللسان إلى مقدمة الحنك الخاصة بـ [I] تسمى **مشجّرة**. ينبغي أن لا نخلط بين الأصوات الشجرية الناجمة عن أداء فرد في منطقة مقدمة الحنك وبين الأصوات المشجرة التي تؤلف بين الأداء الشجري وأداء خصوصي: إن [p] لايمكن أن يكون شجريا، لأنه شفهي، ولكن يمكن أن يكون مشجرا؛ وفي هذه الحالة يوسم، [p´]. الروسية لها مجموعة من الأصوات المشجرة، خاصة [t´] و [d´] اللتين تنجمان حقا عن ائتلاف أداءين متلازمين ذولقي وظهري شجري، وليس أداءا واحدا ظهريا شجريا كـ [t] و [d].

إن الأداءات الصامتية التي تأتلفَ مع دفع الشفتين إلى قدام وتراجع اللسان تجاه صفاق الحنك الخاص بـ [U] تسمى **مفخمة**: فـ [t] مثلا، الذي هو ذولقي بالطبع يمكن أن يفخم ويوسم عندئذ [t̀]. و[p] على الرغم من أنه شفهي بالطبع يمكن أيضا أن يفخم والشفتان في [p̀] تدفعان أكثر إلى الأمام مما هو عليه الحال في [p].

سنسمي **شفهية صفاقية** الأصوات التي تجمع بين الأداء الشفهي والأداء الصفاقي دون التمكن من تحديد أيها أخص. بعض الشفاهية- الصفاقية تجمع بين حبس ظهري وأداء شفهي ولساني لـ [U]؛ يفترض وجود مثل هذه الشفهية الصفاقية للسان الهندي الأوربي وتوسم كذا: K*، g* إلخ. لكن الشفهية الصفاقية الحقيقية تجمع بين أداء شفهي وأداء صفاقي من نفس



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

2-38- المقطع :

في أبسط الأحوال تكون المقاطع بعدد الصوائت المفصولة بصوامت. ذلك لأن الصوائت إلى السمع أقرب من الصوامت. وهذا في ما يبدو يدل على أن كل مقطع يطابق قمة منحنى الإدراك. هذا ما يفسر أن صامتا مثل [l] واقعا بين صامتين أضعف سماعا مثل [v] و [K] يمكن أن يقوم بدور قمة المقطع مثل ما هو الحال في vlk "ذئب" التشيكية، أو أن صائتا مثل [i] على إتصال بصائت أكثر إنفتاحا، مثل [a] في سياقات كـ [ia] أو [ai] لا يمكن أن يكون قمة مقطع مميز. لكن صائتين تختلف درجة سماعهما ممكن جدا أن يكونا مقطعين متواليين كما هو الحال في ébahi الفرنسية؛ [R] و [l]، عادة أقرب للسماع من [t] و [k] لا يكونان مقطعان في quatre [katR] الفرنسية، boucle [bukl]؛ [i]، أقل إنفتاحا من [ə] تكوّن مع ذلك قمة المقطع الفريد في: beer [biə] الإنجليزية. فالتقسيم المقطعي يتعلق إذن بعوامل كثيرة لم يتم التعرف عليها كلها كما ينبغي.

2-39- قوة الأداء :

كنا أشرنا في ما سبق (2-28) أن الصفيرية تنجم عن إحتكاك أكثر قوة من إحتكاك المسترسلة الذولقية الموسومة [θ] و [ð]. في هذه الحالة تنجم قوة الاحتكاك عن الواقع المتمثل في أن نفس حجم الهواء يجب أن يمر بمنفذ أكثر ضيقا في [s] من منفذ [θ]. والقوة التي نأخذها بعين الاعتبار هنا هي قوة الأداء عامة، وهي قوة غير محدد بالتدقيق موضعها كتلك التي يبدو أنها تميز مثلا acheter، بـ [š] من à jeter حيث إنه قبل [t] المهموس، [z] لاتنفرز قط عن [š] إلا بوهن قوة أدائها.

إن هذه القوة المطلقة إذا اندفعت ليس من اليسير وضع حد لها وعليه فإن استعمالها قليل نسبيا للتمييز بين صوت و صوت آخر وإنه يحتفظ بها لتعطي وضوحا لمقطع مّا في المفردة الواحدة. لهذا التنبيه المسمى: نبرا يمكن أن تساهم، مثل ما سنرى في ما يلي 3-31، بالإضافة إلى قوة الأداء (stress الإنجليزية)، مدة أداء الصائت وما يتبعها في المقطع وحركات المنحنى التنغيمي في الخطاب (pitch الإنجليزية).

3 – التحليل الصويتي

I – وظائف العناصر الصوتية :

3-1- ثلاث وظائف أساسية :

إن تحليل وظائف الأصوات يهدف إلى تعريف الوظائف الصوتية للسان مّا ولتصنيفها وفقا لوظيفتها في ذلك اللسان. فوظيفتها تمييزية أو تقابلية، عندما تساهم في تعريف عنصر في نقطة مّا من مدرج الكلام بالمقابل إلى كل العناصر الأخرى التي كان بالإمكان أن تكون في نفس تلك النقطة لو كان الخطاب مختلفا: ففي القول التالي: هذا بدر جميل يعرف الدليل بدر /ب ـ د ر/ كما هو، بصويتاته الأربعة المتتالية، كل صويت يقوم بدوره بحكم أنه متميز عن كل الصويتات الأخرى التي يمكن أن تظهر في هذا السياق. ولكن إزاء هذه الوظيفة الصويتية الأساسية يمكن للعناصر الصوتية للسان مّا أن تتحمّل وظائف تباينية عندما تساهم في تيسير تحليل القول إلى وحدات متتالية بالنظر للسامع. وهذا ما يقوم به النبر عامة وعلى الخصوص في لسان كاللسان "التشيكي" حيث يوجد بانتظام على المقطع الأول لكل كلمة. أيضا هذا ما يقوم به الصويت /h/ في الإنجليزية الذي يضيف إلى وظيفته التمييزية (hill ينفرز عن ill، pill، bill الخ) وظيفة التفاصل لأن /h/ في هذا اللسان لايمكن أن ترد في المفردات التقليدية إلاّ في بداية الكلمة. هناك وظيفة أخرى صويتية هي الوظيفة **التعبيرية** التي ترشد السامع إلى الحالة النفسية للمتكلم دون أن يلجأ المتكلم من أجل ذلك إلى وسيلة التقطيع المزدوج وهكذا في لساننا العربي يمكن أن تؤوّل إطالة /ء/ وتضعيفها في أهلا- أهلا كدليل على التهكم أو التظاهر به.

3-2- صفات خصوصية غير وظيفية :

لا يحسن الحديث عن وظيفة العناصر الصوتية إلاّ في الإطار الذي تنجم فيه عن اختيار للمتكلم. لكننا مطالبون بالإشارة إلى وجود صفات صوتية تخبر الغير- شاء المتكلم أم أبى- عن شخصيته ومكانته في المجتمع ومنطقته الأصلية.



من دوال أقوال تامة، تمثل معطيات حقيقية دون أيّ تـأويل ولا تحليل مسبق إلى جمل أو جميلات أو ألفاظ أو كلمات، لكن ذلك يمثل مساوئ ذات بـال على الصعيدين التطبيقي والنظري. وقد يحدث أن يكون لصويت مّا آداء يختلف إلى حد بعيد وفقا للسياق الذي يرد فيه: فـ /l/ من أنجليزية بريطانيا يؤدى بطريقتين مختلفتين تبعا لوروده قبل الصائت مثلما هو الحال في: lake أو بعد الصائت مثلما هو الحال في whale- و الباريسيون يؤدون بوجهين مختلفين الـ /σ/ في joli وفي cor*- إن إنعدام الصويت الموالي هو عنصر من السياق: ففي الفرنسية الـ /a~/ في grand /gra~/ غالبا مايكون في السمع أكثر اقتضابا من الـ /a~/ في grande /gra~d/. على أن هذا الفارق البيّن بين الصائت في grand والصائت في grande عندما تؤدى الصيغتان على انفراد أو آخر السياق من المحتمل أن يبقى عندما يظهران وسط السياق مثال ذلك في /..dadé ~õc gra../ un grand dadé و// la gra~d.. la grande adèle/adèl.. هذا يعني أن النطق العادي أمام الوقف يمكن أن يستمر حيث يكون الوقف إفتراضيا تقريبا وليس محققا.

وإن نحن لم نأخذ بعين الاعتبار الوقف الافتراضي بمعنى التقطيع إلى ألفاظ فإنه ينبغي علينا التمييز في الفرنسية بين صويت /a~/ "مقتضب" وصويت /a~/ "طويل" ذلك لأن هذا الاختلاف بين "المقتضب" و "الطويل" هو وحده الذي يحصل به التمييز بين [...gra~dadé] بـ [م] مقتضب في un gand dadais و [...gra~dadèl] بـ [a~:] طويل في grande adèle. من الأنسب إذن استعمال تحليل إنطلاقا من مقاطع لقول غير قابل للإنقطاع بوقف؛ معنى ذلك، أن ننطق عمليا من ما نسميه الألفاظ. في الوسم الصويتي سيكون الافتراضي من الوقف مشارا إليه بفضاء.

3-6- المفاصل الداخلية :

يحدث في بعض الألسن أن يكون التصرف الصويتي الخاص- التي نصادفه عامة أمام وقف افتراضي- موجودا بشكل متفاوت في الظهور داخل ما يسمى بالألفاظ وعلى حدود كلمتين. ففي الإنجليزية لا يحصل الالتباس بين اللفظ المركب night rate "تعريفة ليلية" / nait-rate/ و nitrate"نيترات" /nait-reit/

* ومثال هذا في العربية: /ل/ بـالله و، والله .

مع أن ترتيب الأصوات وترتيب العناصر التنغيمية هو هو في الحالتين؛ وكذلك الشأن بالنسبة لآخر الكلمة [ain∂s] من minus "ناقص" فهو غير مماثل لآخر slyness "حيلة" حيث يتعلق الأمر بـ الصفة sly + اللاحق ness-. إنه من المناسب بطبيعة الحال التنبيه إلى وجود هذا الضرب الخاص من الوقف الإفتراضي الذي لاتلتبس آثاره بالضرورة بالضرب الذي عالجناه آنفا كما أنه من المناسب الإشارة أثناء الكتابة إلى هذا الأمر بواسطة شرطة وصل مثلا. هذه المعالجة الخاصة يمكن أن تمتد إلى سياقات غير منتظرة عندما نعالج مثلا كلمة Theater الألمانية وكأنها مركبة من tee و Ater المهمل مع حبس حنجري قبل -a-. تدرج أحيانا هذه الافتراضات من الوقف تحت تسمية الوصل أو المفصل.

3-7- أي دوال نخضع للتحليل ؟ :

سنستعمل إذن التحليل إلى صويتات مقاطع من القول نكون واثقين من أنها لا تنطوي على وقف إفتراضي. لا ينبغي أن ننسى إنه إذا وجدت علاقة بيّنة بين الوقف الافتراضي وبين نقاط التقطيع إلى ألفاظ أو كلمات فلا وجود بالضرورة إلى تطابق مطلق بينها كما لا ينبغي أن ننسى أنه في الوسم الصويتي يشير البياض المتروك أو الشرطة بكل دقة إلى نقاط المدرج حيث يمكن أن تحدث أعراض خاصة نكون قد احترنا أن لا نأخذها بعين الاعتبار في تحليل الأصوات. علينا من جهة أخرى أن لا نبحث عن التقارب بين مقاطع لسنا واثقين من أنها تنطوي على نفس الصفات التنغيمية: نبرة على نفس الموضع إذا كان اللسان ذا نبر، ونفس النغمات على نفس المقاطع إذا كان الأمر يتعلق بلسان ذي نغم. وفي حال لسان كاللسان الفرنسي فإن التوصية الأخيرة لا يعبأ بها وأنه يمكن استعمال أي لفظ كمقطع. إنه من المناسب، أخيرا أن نغفل أي عنصر ذي وظيفة تعبيرية في اللفظ المسجل، وعليه فلا نقابل مثلا بين impossible بـ /p/ مطوّل وقوي و impossible بـ /p/ عادي كما لو تعلق الأمر بوحدتين مختلفتين.*

* يطبق هذا على مثالنا السابق: أهلا، أهلا. (/ء/قوية ممدودة و/ء/ عادية



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

3-10- تحديد المقاطع قبل مقارنتها :

إننا لا نستطيع إذن أن نقول إن ruche و rouge تبدآن بنفس الصويت ما لم نلاحظ أنهما في علاقة تماثل مع الوحدات التي من المحتمل أن تظهر في سياقيهما uche و ouge هذا الوضع مشابه لوضع [ɛ] الدانماركية net ووضع [a] في الدانماركية ret اللذين قد تقرر أنهما صويت واحد لأنه تحدد كل منهما بالنسبة لبقية الوحدات الأخرى المحتمل ظهورها في نفس السياقات التي ظهرا فيها كدرجة ثالثة من الانفتاح. فقبل القيام إذن بوضع جرد للصويتات لا بد من تحديد كل مقطع وتعيين ما الذي في جواره الصوتي به ينفرز عن المقاطع الأخرى التي من الممكن أن تظهر مكانه. بعد أن ننجز هذا سنعرف المقاطع الآتية من سياقات مختلفة تمثل نفس التعريف بأنها آتية من تحقيقات لنفس الصويت.

3-11- التعامل مع سياقات محدودة :

إن نحن تتبعنا ما سلف ذكره حول الشروط التي تمكن من تعريف مختلف المقاطع الدنيا كتحقيقات لنفس الصويت فإننا بسرعة سنصطدم بصعوبات لا يمكن تجاوزها ناجمة عن كون الألسن كلها تحتوي على نسبة قليلة من الائتلافات الصوتية الممكنة والتي يستفاد منها حقا لتكوين الألفاظ والكلمات- في السياق الكامل والدقيق الذي توجد فيه الـ [r] من ruche فإنه لا تستعمل في الفرنسية البتة صويتات أخرى ماعدا الـ [b] في bûche و الـ [z] في juche. ومع ذلك فإن لم يتردد في استعمال أنواع من الجوار الصوتي مختلفا قليلا دون أن تضير شروط ظهور الفاظ قبل uche- فإنه سيتمكن من إضافة عدد من الصويتات إلى القائمة: /I/ و /n/ مثلا اللذين نجدهما في peluche و grenuche. سرعان ما سيُتبين أن كل ما يمكن أن يظهر في الفرنسية قبل [u] يمكن أن يظهر قبل uche-، والأهم من هذا ما يلاحظ في أن طبيعة الصائت لا تتضمن في هذا اللسان أي شرط قصري في اختيار الصويت الصامت السابق وهذا في تصورنا يجعل مهمتنا أكثر يسرا. ولكن هذا لا ينطبق على كثير من الألسن، وهو أمر يطرح مشاكل سنتعرض إليها في ما سيأتي مشاكل تتعلق بتعريف الصويتات.

3-12- في البحث عن الصفات الوجيهة :

يفترض تحديد المقاطع الدنيا السابقة لأي تحديد للصويتات أن نقارن بين الطبيعة الصوتية للمقطع المختار وبين الطبيعة الصوتية للمقاطع الأخرى التي

يمكن أن توجد في نفس السياق أو بعبارة أخرى التي تكون في تقابل معه. ليكن مثلا المقطع الأول من كلمة douche إنه في تقابل مع المقطع الأول من كلمة souche نلاحظ في الحالة الأولى إنفجارا مسبوقا بانغلاق لقناة الزفير حاصل على مستوى الأسنان العليا يقوم به طرف اللسان ويكون مصحوبا برعدة في الأوتار الصوتية وفي الحالة الثانية نلاحظ إحتكاكا للهواء حيث يحدث بين اللثة ومقدمة ظهر اللسان دون أن يكون مصحوبا برعدة في الحنجرة. إلى هذا الحد من التحليل لا نعلم إذا كانت هذه الخصوصيات المختلفة تتزاوج على الدوام أم لا. فلو حصل التحقق من هذا الأمر في ما بعد أن الفرنسية فيها إنفجار ذولقي أسناني مصحوب على الدوام بجهر وفيها احتكاك دوين الظهري لثوي مهموس على الدوام بمعنى أن كلا منهما ينجم دائما عن إختيار فرد من المتكلم، فينبغي عندها إعتبار كل من هذين الأداءين المركبين كصفة وجيهة أو تمييزية فريدة. ولكن بمجرد إدراج لفظة touche نلاحظ أن أول مقطع من هذه اللفظة في تقابل مع بداية douche ليس من جراء أداء طرف اللسان الذي هو هو ولكن من جراء إنعدام الرعدة الحنجرية الملازمة. ولتحقيق douche ينبغي إذن في البداية القيام باختيار بيّن:

1- الأداء الحبسي الذولقي المشترك بين douche و touche

2- أداء حنجري خصوصي به ينفرز douche عن touche وإذا قارنا الآن mouche بالبقية سنلاحظ أن douche تختلف عن هذه اللفظة في أن حبسها الأولي ذولقي وليس شفهيا وفي الها مصحوبة بارتفاع لصفاق الحنك يمنع الهواء من الدخول إلى تجاويف الخياشيم، بينما يتضمن أول مقطع في mouche قبل الانفجار الشفهي انفلات للهواء من الأنف لاشيء حتى الآن يبين لنا أن الحبس الشفهي المجهور في الفرنسية غير مصحوب على الدوام بانفلات للهواء عبر الأنف.. ولكن إدراج bouche تبين أن الحبس الشفهي وصفة الغنة ينفرزان وبالتالي يمثلان صفتين تمييزيتين وأن الـ nouche - من الاسم minouche يدل على أنه بالإمكان ائتلاف الحبسي الذولقي وصفة الغنة- وهذا يتضمن بطريقة غير مباشرة أن نطق المقطع الأول من douche يفترض اختيارا ثالثا: ارتفاع صفاق الحنك الذي يميزه عن المقطع الأول من nouche-. وإذا أدرجنا couche فإننا لا نضيف أي عنصر جديد؛ إن الحبس في هذه الحالة ظهري وليس ذولقيا وليس مصحوبا برعدة في الحنجرة. ولكن هذا لا يبرز أية صفة خاصة في أداء المقطع الأول من douche. إن بداية bouche تمثل أيضا أداء ذولقيا ولكن مع إنفلات الهواء من حافتي اللسان (أداء منحرف). هذا المقطع ينبغي أن يوصف



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

فأول buche وأول bouge ستحدد على أنهما تحقيقان لنفس الصويت /b/ ذلك لأن الوحدتين يعرف كل منهما بأنها: 1- شفهي 2- مجهور 3- غير أغن.

نستطيع بطبيعة الحال أن نصنف الصويتات التي استخرجناها بهذه الطريقة مثل ما فعلنا أعلاه بالنسبة للمقاطع المتميزة قبل ouche- ونحاول أن نعرض بيانيا نسب النظام بوضع الصويتات المختصة بنفس الصفة الوجيهة على خطوط مستقيمة متقاطعة. فقسم للصويتات الصامتة يختص بنفس الصفة مثل: /p f t s š k/، في الفرنسية، والذي تنتظم وحداته طوال قناة الزفير يسمى: مساقا؛ والصوامت مثل /t d n/ أو /z̃ ž/ التي تخرج من نفس النقطة من هذه القناة وبفضل حركة نفس العضو تكوّن ما نسميه قبيلا. نميز في الفرنسية بين مساق مهموس ومساق مجهور ومساق أغن كما نميز بين قبيل شفهي، شفهي أسناني، ذولقي صفيري، شجري وظهري مستعلي. فمساقان مثل /p f t s š k/ و /b v d z z̃ g/ يكونان ما نسميه تناظرا. يدل هذا المصطلح على أن كلا من المساقين لا وجود له كمساق إلا بوجود المساق الآخر. فالصفة الوجيهة التي تميز المساقين تسمى العلامة. والعلامة هنا هي "الجهر".

3-16- وجوه الائتلاف :

إن تماثل /b/ في bûche والذي في bouge لا يمثل أية صعوبة في إطار العملية التي سبقت ولكن الأمر ليس على الدوام بهذه البساطة -عند المقارنة بين جردين نجد في أحسن الأحوال نفس عدد الوحدات في كلا الطرفين ولكنه من الاستثنائي أن نجد في وصف كل واحدة منها في جرد ما ما يقابلها بدقة في الجرد الآخر. وإن نحن قمنا بجرد الوحدات المتميزة في الاسبانية في السياق na..a سنستخرج في كلمة nada التي تعني "لاشيء" وحدة سنخصصها كـ: إنسيابية ذولقية ما بين أسنانية [δ] إنسيابية تذكرنا قليلا بالتسريبية الموسمة th في father الانجليزية وإن نحن قمنا بعد ذلك بالجرد في السياق fon...a، سنجد في الكلمة fonda التي تعني "خان" وحدة سنصنفها بالحبسية الذولقية الأسنانية [d]؛ لكن الانسيابية [δ] لا تظهر هنا مثلما لا تظهر الحبسية [d] بين زوج من a. ولكن بما أن علاقات الانسيابية الذولقية ما بين أسنانية مع وحدات جردها هي نفس علاقات الحبسية الذولقية الأسنانية مع وحدات جردها فإننا سنعرفهما بأنهما وجهان لنفس الصويت الموسوم /d/ إن مقارنة الجدولين اللاحقين يبين أن [δ] و [d] تدرجان في نفس نظام النسبة في جردهما الخاص بكل منهما.

جرد جزئي بين أغن وصائت								جرد جزئي بين صائتين							
				p	t	k							p	t	k
				b	d	g							β	δ	ɣ
				f	θ	X							f	θ	X

نتحدث عن الوجوه الائتلافية أو السياقية عندما نعي الفارق في تحقيقات نفس الصويت في سياقات مختلفة بمعنى عندما يكون الفارق لافتا للنظر بحيث يمكن أن يؤدي مثلما هو الحال في الاسبانية لـ [δ] ولـ [d] إلى أوصاف غير مماثلة- وينبغي مع ذلك أن ننتبه إلى أن بعض الفروق التي يسمعها شخص يمكن أن لا يسمعها شخص آخر ليس له نفس السوابق اللسانية. فالاسباني الذي يصف لسانا آخر غير لسانه، حيث [δ] و [d] يكونان وجهين لنفس الصويت لن يفكر في هذه الحالة في تمييز وجهين لأنه لم يألف الاختيار بين هذا وذاك، ومن أجل هذا فإنهما يتطابقان في نظره. نفس الشيء يحدث للباريسي العادي فإنه لن يفكر في التنبيه إلى الفارق بين الـ /σ/ في joli والذي في cor بالنسبة للأمريكي الذي يسمع اللغط /^/ في sun في الأول واللغط /∂/ في lord في الثاني فهما وجهان أو كما يقال أيضا "وجهها مخرج متخصصان جدا. إن القول بأن صويتا مّا ليس له وجه آخر أو له وجهان أو ثلاثة أو أكثر هو ارتكاب خطإ نقل انطباعات خاصة بالواصف إلى نظام اللسان الخاضع للوصف.

إن وجها إئتلافيا لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون وليد المصادفة. ينبغي تفسيره ولو جزئيا بالرجوع إلى السياق الصوتي. فإذا كان الصويت الاسباني /d/ يتحقق كصويت حبسي بعد /n/ فلأن الأداء الفمي للصويت /n/ يقتضي حفزا ولأنه من الأيسر وأقل كلفة المحافظة على ذلك الحفز من أجل الـ /d/ التالي له؛ وإذا تحقق كإنسيابي بين صائتين فلأنه في إطار النظام يكون أقل كلفة عدم الحفز الكامل للفم بين أداءين صائتين يتحققان هما بالذات بفم مفتوح- يقال إن الوجوه الائتلافية لنفس الصويت تكون في توزيع تكاملي.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

والضعيف ليسا إلا مجرد وجهين لنفس الوحدة، وجه قوي في ricσ ووجه ضعيف في amor. فهذه الوحدة التي تنقسم إلى وحدتين إن وقعت بين صائتين هي صويت كلي خاصيته الاهتزاز الذولقي، والصويتات التي تغطيها هي تكراري قوي /r:/ (cerrσ) وتكراري ضعيف /r/ (cerσ).

في وضع النظام الصائتي الفرنسي نعود إلى نظام التكامل الجزئي لبعض الوحدات التمييزية التي تمكن من تحديد الطبيعة الصحيحة لتقابلات النظام. في آخر اللفظة يميّز في لهجة باريس بين اربع درجات انفتاح للصوائت الأمامية مثلما تبينه الألفاظ التالية: ré riz، raie و rat. في الموضع المسمّى مغطّى أي عندما يكون صامتا واحدا على الأقل يتبع فيه الصائت فإننا لن نميّز إلا بين ثلاث درجات وهي bile, belle، bal. فكلمة مبدوءة بـ /b/ ومنتهية بـ [I] مع جرس- بين هذين الصامتين- لـ é في ré لا وجود له فحسب وإنما يستحيل نطقه على الفرنسي العادي. والذي يمكن من القول إن التقابل ré—raie هو الملغى هنا فليس التقابل riz—ré هو أن أصل الجرسين ré و rai متكاملين جزئيا، فجرس raie هو وحده العادي في المقطع المغطى وأما جرس ré فينحو إلى أن يكون عاديا في المقاطع غير المغطاة عدا أواخر الألفاظ في maison، pêcheur، descendre مثلا على الرغم من تقاليد لغة الصفوة والإشارات التي تبدو في الكتابة. في هذه الحالة نقول إنه الصويت الكلي (الموسوم /E/ أو بطريقة أبسط /e/) الذي لا ينقسم بوضوح إلى صويتين إلا في آخر اللفظة مع أن بعض الناطقين يحاولون أحيانا وهم يتحدثون التمييز بين الـ pêcher من péché. عندما نعالج أمر الصوائت غير ذات الغنة في الفرنسية فإنه من المفيد الانطلاق من الصويتات الكلية، الموسومة غالبا بواسطة الحروف الغليظة /ϕ - I E A O U/ التي تمثل في هذا الجزء من النظام التمييزات الوحيدة المشتركة بين جميع الناطقين بالفرنسية.

3-20- الإلغاء يكشفه التعاقب :

عندما نلزم أنفسنا بتحليل دقيق إلى صفات وجيهة فإننا عامة نعي ظواهر الإلغاء بملاحظة التغيرات التي تلحق الألفاظ أثناء التصريف. لتكن مثلا اللفظة repérer في هذه الصيغة الصائت [e] الموضوع بين /-p-/و/-r-/ له جرس الصائت الذي في ré؛ في il repère الصائت [ε] في هذا الموقع له جرس ذلك الذي في grès؛ هذا ما تشير إليه من جهة أخرى التطويحات الحادة والثقيلة التي يمكن الاعتماد عليها في هذه الحالة الخاصة، يوجد إذن إن شئت تعاقب ولكنه

تعاقب مشروط بالجوار الصوتي ولا علاقة له باختيار المتكلم: سيشق على الباريسي العادي النطق بـ الـ é التي لـ ré في il repère، والـ é هذه هو النطق الوحيد الذي يقوم به طبيعيا في المقطع الثاني من repérer- إن هذا التعاقب الذي هو عليق بالجوار الصوتي الحالي والذي يعكس سلوكا صوتيا خصوصيا في الفرنسية المعاصرة لا يمكن أن، يوضع في نفس مستوى تعاقب eu و ou في ils peuvent، nous pouvons الذي يعكس مخالفة كان انتهى تكييفها الصوتي منذ ما يزيد على ألف سنة- لاشيء يتعارض في صويتيات الفرنسية المعاصرة مع صيغ مثل ils peuvent* أو nous pouvons* تتطابق قافية مع elles couvent و nous abreuvons.

3-21- صوائت وصوامت :

ليس من النادر أن نجد في لسان كاللسان الفرنسي صوامت وصوائت في نفس السياقات: مثلا في kaσ/chaos/و kap/cap/، في abei/abbaye/ و abej/abeille/ ومن قال إن السياق ليس هو هو لأن التحليل المقطعي يختلف فقد غاب عنه أن صفة الصائتية وصفة المقطعية لا يمثلان هنا إلا شيئا واحدا. ولكنه على العموم من المفيد التمييز بين نظام الصوامت ونظام الصوائت فالمنشود في الصوامت والصوائت ليس ظهورها في نفس السياقات أي أن تتقابل ولكن المنشود أن يتابع بعضها بعضا في نَظْم الخطاب أي أن تكون متباينة.

هذا لايعني أن بعض الألفاظ لا تستطيع وفقا لسياقها أن تقوم بدور قمة المقطع وهو امر طبيعي بالنسبة للصائت أو أن تقوم بدور مساعد هذه القمة وهو الدور المنشود من الصامت: [i]، في كثير من الألسن يكون قمة المقطع قبل أي صامت ويكون مساعدا لمثل تلك القمة قبل أي صائت: في الفرنسية vite و viens؛ [I] يكون قمة مقطع وإن شئت فهو صائت في الانجلزية battle أو التشيكية vlk "ذئب" ولكنه صامت في الانجليزية: lake أو التشيكية léto "سنة" ما لنا في هذه الظروف من داع يدعونا لتمييز صويتين: صائت وصامت ينطبق هذا أيضا على [i] إذا تعاقب مع [j] قبل صائت لأن هذين اللفظين لا ينفرزان في الواقع إلا بقليل من الانغلاق لـ [j] بالنسبة [i] ولأن هذه الدرجة الإضافية للإنغلاق أمر طبيعي يشير إلى التباين بين [j] والصائت أو الصوائت المجاورة. وإذا كان لا بد- في الفرنسية- من التمييز بين صائت [j] وصائت /i/ فلأن paye و abeille لا تلتبسان بـ pays و



3-25- التنغيم :

ينتج الصوت عن اهتزازات للأوتار الصوتية وهذه الاهتزازات تفترض تشنج هذه الأعضاء. عندما يتشنج وتر تشنجا قويا فإنه يهتز على علامة مرتفعة وعندما يكون التشنج ضعيفا فإنه يهتز على علامة خافتة. وهذا هو حال الأوتار الصوتية. في الغناء يتم الارتفاع والانخفاض على درجات: هي العلامات. وفي الكلام الارتفاع والانخفاض متصلان يذكران بصوت صفارة الانذار أكثر مما يذكران بنغم معزوف على البيانو. بما أن الأوتار تهتز في كل لحظة إلى درجة معينة، يمكن رسم منحنى لدرجات اللحن أي قول كان (وتظهر على المنحنى حركات غير دورية مطابقة للصوامت المهموسة). لحن الخطاب هذا هو إذن إلى حد مّا آلي أي أن المتكلم لا يختار بين وجوده وعدم وجوده على الرغم من أن خيارات إستعمالاته اللسانية محدودة بهذا الشكل فإنه مع ذلك يؤدي دورا تختلف أهميته وطبيعته إختلافا بيّنا من لسان إلى لسان آخر، وتستعمله بعض الألسن في شكل وحدات تمييزية، النغمات. وليس من النادر أن يستعمل لأغراض تباينية في عملية إبراز النبر. من المفيد أن نفرد مصطلح تنغيم لما يبقى من منحنى اللحن بعد تجريده من النغمات ومن ظواهر النبر.

مثل ما رأينا في (1-16) إن حركة المنحى التنغيمي مشروطة إلى حد بعيد بضرورة تشنج الأوتار الصوتية ببداية الكلام كما هو مشروط بالمنحى الاقتصادي إلى إرخائها حال بداية نهاية الكلام إلاّ أن المتكلمين يمكنهم إستعمال هذه الحركة لبعض الأغراض التباينية وفقا لمبادئ يبدو أنها مشتركة لدى جميع البشر ولكن بأشكال يمكن أن تختلف من مجموعة بشرية إلى مجموعة بشرية أخرى. لن نستطيع إذن نكران كل قيمة لسانية للتنغيم. ولكن دوره لا يدخل في نطاق التقطيع المزدوج لأن العلامة التي يمكن أن يمثلها إرتفاع اللحن عند نهاية الكلام لا تدخل في توالي الكلمات وليس لها دال قابل للتحليل إلى مجموعة من الصويتات. إن تغيرات المنحنى التنغيمي تقوم في الواقع بوظائف يصعب التمييز بينها. منها الدلالية مباشرة مثل إرتفع ثمن الخبز؟. ولكن وفي غالب الأحيان هي من الضرب الذي أسميناه تعبيرية- إن ما يجب ملاحظته على الخصوص في موضوع لحن الخطاب في لسان كاللسان الفرنسي هو أن تغيرات منحناه غير قابلة لتغيير هوية الكلمة أو اللفظة: فـ: الخبز من إرتفع ثمن الخبز؟ في لحن متصاعد ليست هي لفظة أخرى غير الخبز في الاثبات ارتفع ثمن الخبز بلحن متنازل حتى إن كان الفارق بين المنحنيين لا يظهر إلا على لفظة واحدة فإنه لا يمس قيمة تلك الكلمة بالذات ولكنه يمس قيمة مقطع من القول أكبر يمكن أن يكون الجملة كلها.

3-26- النغمات :

تستوي في هذه الظواهر التنغيمية في الفرنسية الاستعمال اللساني القائم على درجة اللحن. ولكن في ألسن أخرى خاصة ضمن تلك التي تستعمل في إفريقيا، جنوب الصحراء وفي آسيا الشرقية منها والجنوبية الشرقية يستعمل نفس هذا الواقع الفيزيائي لأغراض تمييزية على شكل وحدات منفصلة مثل الصويتات ولكنها ليست مصنفة ضمن صفات الصويتية القابلة للتحليل لأنها تمس مقاطع من القول لا تلتبس بالضرورة بوحدات التقطيع الثاني، يتعلق هذا الأمر بما يسمى النغمات ففي "لسان ذي نغمات " لا تحدد جيدا الكلمة أو اللفظة إلا بعد أن تستخرج منها نغماتها وكذلك صويتاتها سيكون القول إن: كلمتي إجاصة وكستناء في "الصينية" تنطقان بنفس الوجه: "li""لـ"؛ بنفس درجة الخطإ تقريبا حين نقول مؤكدين إن لفظتي le pré و le prêt في تجانس تام؛ والحق إن اللفظ الصيني الذي يدل على الإجاصة يؤدى بنغم متصاعد، أما الذي يدل على الكستناء فيؤدى بنغم متنازل والفارق بين هذين النغمين هو بنفس نجاعة جرس الصوت الذي يمكن تمييز pré من prêt.

3-27- النغمات الموضعية :

تنطوي النغمة دائما على حركة للحن تتفاوت مدتها. ولكن ليس بالضرورة مجموع هذه الحركة هو الوجيه أي الذي يمكّن من التعرف على هذا النغم من أنه متميز عن النغمات الأخرى التي يستعملها اللسان. توجد الألسن ذات نغمات حيث تكون النغمات موضعية أي أنه تحسب نقطة واحدة من منحنى اللحن للتعيين كأن تكون النقطة العليا (الأكثر حدة) أو الدنيا (الأكثر ثقل: "خفاضة"). إن تصاعد المنحنى حتى أعلى نقطة ثم التنازل الذي يلي تلك النقطة والتصاعد والتنازل اللذان يصحبان النقطة الدنيا، كلها آلية وبالتالي فهي عديمة القيمة اللسانية. ففي لسان يميّز بين نغمتين موضعيتين تكون بالضرورة إحداهما عالية والأخرى منخفضة، بعض الألسن تميز بين ثلاث نغمات موضعية، نغمة عالية ونغمة وسيطة ونغمة منخفضة. يقال إن لهذا اللسان ثلاثة مستويات وجيهة أو ثلاث طبقات. في أغلب الألسن ذات النغمات الموضعية تخصص النغمة مقطعا وكل مقطع له نغمة. فليكن مثلا "اللونكوندو" وهو لسان ذو طبقتين يستعمل في منطقة "الكنغو" فإن نحن استعملنا نغمة منخفضة على كل مقطع من المقاطع الثلاثة فإن لفظة l'okolo (لوكولو) تدل في هذا اللسان على ثمر النخل، وإن نحن استعملنا نغمة منخفضة على المقطع الأول ونغمة عالية



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

هذه إذن حالة يستعمل فيها نفس الواقع الفيزيائي وتردد إهتزازات الصوت في نفس اللسان وحتى في نفس القول لأغراض لسانية مختلفة. ينبغي بطبيعة الحال توقع تداخلات لأن ضرورات التنغيم يمكن أن تتطلب صعودا حيث تتطلب النغمة نزولا والعكس بالعكس- نلاحظ في الواقع أن نغمة عالية آخر القول يمكن عند نفس المتكلم أن تكون أكثر ثقلا من نغمة منخفضة وسط نفس القول. إذا كان إنحدار اللحن سريعا جدا فليس من النادر أن تكون نغمة لسانية عالية أكثر انخفاضا فيزيائيا من نغمة لسانية منخفضة تسبقها. كل هذا يعني أن السامعين، كي يحكموا أن نغمة مّا عالية أو منخفضة لا يتخذون موقع الصوت مرجعا بالنسبة لما يمكن أن يوصف كجرس عادي للسامع ولكنهم يعتبرون النغمة عالية إذا كانت أكثر حدة؛ ومنخفضة إذا كانت أكثر ثقلا مما قد تنبيء به كل نقطة في المنحنى التنغيمي.

3-31- إبراز النبرة :

النبرة ابراز لقيمة مقطع صوتي واحد فقط في ما تمثله- في لسان معين - الوحدة النبرية. والوحدة النبرية في أغلب الألسن هي ما جرت على الألسن تسميته بـ اللفظة. في ألسن كالروسية أو البولونية أو الإيطالية أو الإسبانية تكشف كل لفظة عن مقطع صوتي واحد فقط وغالبا ما تبرزه على حساب المقاطع الصوتية الأخرى للفظة فهو المقطع الأول في الروسية في gorod في البولونية wyba، وفي الإيطالية donna-، والاسبانية mesa، وهو المقطع الثاني في الروسية sobaka والبولونية wysoki والإيطالية mattina والاسبانية cabesa: وهذا يصدق على الانجليزية وعلى الألمانية للألفاظ البسائط (غير المركبة) مثل father، vater منبورة على المقطع الأول، أما career و kartoffel فمنبورة على المقطع الصوتي الثاني عندما تكون اللفظة معزولة يكون إبراز القيمة النبرية، دائما محققا. أما في السياق فيتفاوت إبراز القيمة النبرية وضوحا وهذا لا يخلو من أثر على قيمة الخطاب. وينشأ بين نبرات القول تدرج يحدد سطحيا ببعض العادات المكتسبة ولكن السامع يمكن أن يغيره لتنويع مضمون القول: في الانجليزية لا يبقى الخطاب على حاله إذا كان إبراز القيمة في القول we did مركزا على we دون سواه والعكس بالعكس.

الصفات الصوتية المستعملة عامة لإبراز قيمة النبر هي قوة الأداء ودرجة اللحن والمدة الحقيقية أو المسموعة للمقطع الصوتي المنبور- ينحو المقطع الصوتي المنبور- في كثير من الألسن- أن يكون أداؤه بأكثر قوّة وبجرس أكثر

إرتفاعا وبمدة أطول من المقاطع الصوتية غير المنبورة المجاورة التي تتباين معـ
وإن درجة القوّة والعلوّ والمدة هي التي تمكن من وضع سلم للمقاطع الصوتية
القول. ولكن الطبيعة الفيزيائية تختلف من لسان إلى لسان آخر، ففي لسا
كالبلغارلية تساهم المدة بشكل حاسم في إبراز قيمة المقطع الصوتي المنبور
حين أن القشتالية لا يكون فيها صائت المقطع الصوتي المنبور أكثر طولا مـ
صائت المقطع الصوتي غير المنبور الموالي له. اعتبر المقطع الصوتي في معظم السـ
أوروبا الحالية- لمدة طويلة أنه حركي، بمعنى أنه تخصصه قمة لمنحنى شد
الصوت الأدائي- ويبدو أن الملاحظات المعاصرة تدل على أنه في لسا
كالانجليزية مثلا الخاصية لكل مقطع صوتي هي تغيّر سريع في منحنى اللحـ
على أن هذه الصفة تكون في أغلب الأحيان مصحوبة ومعضودة بتزايد في
الشدة وفي المدة.

3-32- نبرات ونغمات :

يستعمل النبر عناصر اللحن بشكل واضح دون شك ولكن أكثر مما كنا نعتقد مدة طويلة. يشترك النبر مع النغمة في صفة فيزيائية- يحق لنا أن نتساءل عما إذا كان نفس اللسان قادرا على أن يشمل النبر والنغمات كوقائع لسانية متميزة. الحق إننا لا نستطيع فيما يبدو- أن نتحدث عن النبر في الألسن التي تكون المقاطع الصوتية فيها قابلة لتحمل نغمة. فحيث يتعايش النبر والنغمات في نفس اللسان فإن النغمات لا تتقابل كوحدات تمييزية إلا في المقطع الصوتي المنبور- وبعبارة أخرى فإن إبراز قيمة المقطع الصوتي في كل وحدة نبرية يتم على حساب إمكانيات التمييز النغمي في مقاطع صوتية أخرى، توجد إذن ألسن ذات نغمات دون نبر حيث يشتمل كل مقطع صوتي على نغمة تمييزية كما توجد ألسن منبورة ذات نغمات حيث لا يمكن لكل لفظة أو وحدة منبورة أن تتحمل إلا نغمة تمييزية واحدة يرتبط موضعها بموضع النبرة. في هذه الحالة الأخيرة نميل إلى أن نرى في كل نغمة ضربا من النبر كما نميل إلى القول إن اللسان الذي يميّز بين نغمتين مرتبطتين بالنبر هو لسان يشمل ضربين من النبر فالسويدية، حيث anden "العقل" تتميز عن anden "البط" برسم لحني مختلف، يمكن أن نقدمها بهذا الوجه كلسان ذي ضربين من النبر، النبر البسيط في anden "البط" والنبر المركب في anden "العقل" يقال عامة إن الاغريقية الأتيكية فيها نبرتان مختلفتان النبرة "الحادة" (ن القصر) ونبرة "المدّ" (نبرة



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

العوض) (النبر الثقيل لا يشير إلى وحدة لسانية مميزة) اللتان لا تتقابلان إلا في آخر مقطع صوتي من اللفظ إذا كان اللفظ يشتمل على صائت طويل أو مزدوج. إلا أنه حتى تنفرز الوظائف جيدا يجدر بنا أن نقول إن الاغريقية تقابل بين نغمتين في النبر عندما يسقط النبر على آخر مقطع صوتي إذا كان المقطع الصوتي يشتمل على صائت طويل أو مزدوج.

3-33- وظائف النبر :

وظيفة النغمات من الأساس تمييزية: فالنغمة لا توجد إلا بالتقابل مع نغمة أخرى على الأقل؛ وعليه فاللسان له نغمات وليس له على الاطلاق نغمة واحدة. ووظيفة النبرة من الأساس تمييزيّة، أي أنها تساهم في تفريد اللفظ أو الوحدة التي تخصصها بالنسبة للوحدات الأخرى من نفس الضرب الموجودة في نفس القول؛ واللسان الواحد له نبرة وليس له نبرات- عندما توجد النبرة دائما -في لسان مّا- على المقطع الصوتي الأول أو الأخير للفظ يكون التفريد كاملا لأن اللفظ ينفرز في ذات الوقت عن ما يسبقها أو ما يتبعها. حيثما يكون موضع النبرة غير متوقع، ينبغي معرفته في كل لفظ وهو لا يشير إلى نهاية الوحدة النبرية أو بدايتها، والنبر له وظيفة تسمّى أوجيّة: وهو يساعد على ملاحظة وجود بعض الأداءات المهمّة في القول وهكذا فإنه يسهل تحليل الخطاب- وسواء اكان موضعه متوقعا او غير متوقع فإن النبر يمكّن من تدقيق الخطاب بالعمل على تغيير أهمية إبراز القيم المتتالية الخاصة بكل نبرة. عندما يكون موضع النبر غير ثابت- أي أن المتوالية من الأصوات التي تخصص الوحدة لا تمكن من تحديد المقطع الصوتي الذي ينبغي نبره، مثلما هو الحال في الاسبانية حيث إن المتوالية من الأصوات /termino/ لا تمكّن من معرفة ما إذا تعلق الأمر بـ término "عبارة" /termìno/termino/ "أنهي" أو terminò " أنهى"- فإننا نميل إلى نسبة قيمة تمييزية للنبر. ولكن هذا لن يكون مقبولا إلا إذا تمكنا من تصور لفظ إسباني /termino/ حيث تكون المقاطع الصوتية الثلاثة منبورة في ذات الوقت وأخرى ينعدم النبر في مقاطعها الثلاثة ولفظ ثالث حيث /-ter/ و/-mi-/ يكونان منبورين، بينما /-n o/ تكون دون نبر، وهلم جرا. إن ما يمكن ان يكون له قيمة تمييزية هو موضع النبر. هذا الدور التمييزي لموضع النبر عادة يكون عرضيا، ولكنه يمكن أن يكتسب بعض الأهمّية مثلما نراه من خلال المثال الانجليزي حيث إن أزواجا كثيرة من الأسماء والأفعال المشتركة صوتيا مثل an increase و to increase أو شبه المشتركة مثل a permit و to permit

تنفرز أساسا بنبر أول الأسماء ونبر آخر الأفعال إلاّ أن هذا لا ينبغي أن ينسينا أن الوظيفة الأساسية، المشتركة للنبر في كل الألسن ذات النبر هي تباينية وليست تقابلية.

3-34- دور النبر في التعرف على اللفظ :

مما ينحو أحيانا إلى طمس الخاصية التباينية الأساسية للنبر هو أن بعض الألسن التي يكون موضع النبر من اللفظ فيها غير متوقع؛ يبدأ السامعون بالتعرف على اللفظ بالرجوع إلى تلك القمة التي هي النبرة: فلفظ إسبانيّ مثل: pasé "مررت" يعرف أوّلا بانتمائه إلى رسم نبري/ ـَ ـ/، ثم في هذا النطاق يدرك باعتباره متميزا عن pasó "مرّ" الذي ينتمي إلى نفس الرسم، ولكن لن تكون البتة مقابلة وعيا أو بغير وعي بين pasó "أمرّ" الذي يمثل الرسم النبري / ـ ـَ/ والذي هو من هذا المنطلق خارج عن النطاق ما أن يعرف رسم pasé / ـَ ـ/. وهذا ما نلخصه ملاحظين أن اللفظ غير المنبور جيدا لا يفهم ولو كانت الصويتات التي تكونه قد نطق بها كأحسن ما يكون الأداء والذي يفسّر أن النبر يُسمَع قبل غيره هو أننا أساسا نتعرّف على المقطع الصوتي المنبور بالتباين مع المقاطع الصوتية غير المنبورة المجاورة- هذا يتضمن أن جميع العناصر الضرورية للتعرّف (على اللفظ) يعرضها المتكلم وهي بالفعل موجودة في القول والسامع يسجلها دون إنفعال. وليس الأمر كذلك بالنسبة للمكونات الصوتية التي لا يتعرف عليها إلا بمقابلة في الذاكرة مع وحدات النظام غير الموجودة في هذه النقطة من المدرج والتي هي في علاقة تقابل مع كل مقطع موال في القول.

3-35- تدرج النبرات :

إن ما أكدناه في ما تقدم من أن لسانا له نبرة واحدة لا زيادة فيها يبدو أنه يتناقض مع الرأي الشائع الذي على أساسه ينبغي أن نميّز -في بعض الألسن- بين نبرة رئيسية ونبرة ثانوية: في لفظ الانجليزي كـ: opposition ينبر المقطع الصوتي الأول والثالث، ولكن إبراز قيمة المقطع الثالث هي عامة أكثر وضوحا؛ في اللفظة الألمانية Augenblick توجد نبرة رئيسية على -Au ونبرة ثانوية على



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

3-37- وسائل أخرى فاصلـــة :

تتمثل الصفات الأخرى الفاصلـة غير النبر إمّا في صويتات أو في وجوه صويتات أو في صفات غير تمييزية وإما كذلك في مجموعة من الصويتات التي لا تظهر إلا في بداية اللفظ أو الوحدة الدالة أو في نهايتها في اللسان الذي نتفحصه: فالـ /h/ في الانجليزية هو في ذات الآن صويت وعلامة فاصلة: لقد إندمجت كلمة مستعارة مثل mahogany في رسم behaviorist حيث إن-be تتبع بحد كلمة؛ والصويت الحنجري [?] للألمانية هو عادة علامة فاصلة غير تمييزية. في لسان "التامول" لا تكون الصويتات التي يمكن أن نسمها /ptk/- نفخية إلا في بداية اللفظ. في "الألمانية" لا يمكن أن يوجد ائتلاف صويتات مثل /-nm-/ إلا بفضل إلتقاء كلمتين في unmöglich* مثلا-في بعض الألسن وفي "الفنلندية" على الخصوص لا توجد بعض الصوائت /a o u/ في نفس اللفظ مع صوائت أخرى / ä ö y/؛ والانتقال في قول مّا من مقطع صوتي مكون من /a/ o/ أو /u/ إلى مقطع صوتي مكون من / ö ä/ أو /y/ يشير إذن إلى الانتقال من لفظ إلى لفظ آخر.

عندما لا يظهر مطلقا صويت أو وجه لصويت مّا أو مجموعة من الصويتات إلا داخل اللفظ أو الكلمة فإننا نتحدث عندها عن علامات فاصلة سلبية؛ وهذا مثلا هو حال الصويتين /d/ و /η/ في الفنلندية. في هذا اللسان نفسه لا تظهر أبدا /m/ في المؤخرة ولا توجد في المقدمة إلا إذا كانت قبل صائت. وهذا يتضمن أن إئتلافا مثل /mk/ لا يمكن أن يكون إلا في الوسط.

إن اللهجة "الفرنسية " اليروفونسالية" لِـ" "هوت فيل" توضّح جيدا كيف أن النبرة التي يكون موضعها غير متوقع تماما والتي لا يمكن أن تدل بمفردها على حدود اللفظ -يمكن أن تأتلف مع صفات أخرى لضمان فاصل كامل. فالنبرة في "هوت فيل" يمكن أن تكون على آخر المقطع الصوتي للفظ مثل ما هو في /pŏ´ta~/ "تجويف" أو /be´ rĕ/ "قبعة" أو /pe´šo/ "مسماك" يمكن أن تكون النبرة ايضا على المقطع ما قبل الأخير مثل ما هو في /´f a~ t a~/ "جيب" أو /bere~/ "شَرِب" ولا تمكّن من تعيين نهاية اللفظ. ومع هذا إذا وقعت النبرة على آخر مقطَع صوتي، فإن الصائت (الذي هو دائما في المؤخرة أو متبوع بـ /r/) ستكون مدته قصيرة إلى حد ما، سواء أكان الصائت وظائفيا غير قصير، مثل في /p e´ š o/ أو قصيرا مثل ما هو في /pŏ´ta~/ أو /´b e r é/، ولكن إذا وقعت النبرة على المقطع الصوتي ما قبل الأخير، فسيمدّ صائت هذا المقطع بكيفية ستبرة إذا كان وظائفيا غير قصير، مثل ما في /b e r é/ ينطق [´be:rə̂] إذا كان الصائت وظائفيا قصيرا فإن الصائت الموالي سيقع فيه مدّ بل

سيضاعف: وبينما ينطق /pŏ´ta~/ [po´ta] بـ [t] وحيز فإن [´fa~ta~] سينطق [´fatta] بـ [t] يسمع في هذا المقطع الصوتي وذاك. هذا يتضمن أن النبرات التي لا ينجم عنها أي إمتداد إلى المقطع الصوتي الأخير من اللفظ بينما تلك التي تكون مصحوبة إما بامتداد للصائت وإما بمضاعفة للصامت الموالي تشير إلى المقطع الصوتي ما قبل الأخير.

V – استعمال الوحـــدات الصويتيـــة :

3-38- تواتر معجمي وتواتر في الخطـــاب :

نحن نعلم أن الخيارات الصويتية هي أبعد من أن تكون مستعملة إستعمالا كاملا لنأخذ على سبيل المثال صويتين صامتين من الفرنسية: /š/ و /d/؛ /š/ يمكن أن تظهر قبل أي صائت و /d/ يمكن أن تظهر بعد أي صائت؛ يظهر اربعة عشر صويتا صائتا في المقاطع الصوتية المغلقة وعليه فإنه يوجد اربعة عشر مقطعا صوتيا أحاديا ممكنا من ضرب /š/ + صائت + /d/ من بين هذه الأربعة عشر يثبت واحد فقط هو /šod/ يكتب chaude "حار" إذا إستثنينا إسم العلم Chedde معروف باختراع المتفجر "الشديت" يمدنا إختيار آخر في /s/ و /k/ مثلا بسبعة أشكال قائمة من بين الأربعة عشر الممكنة. إن مختلف الوحدات الصويتية للسان ما تستعمل على نحو متفاوت ملحوظ. فبعض الصويتات يتكرر وجودها في العديد من الألفاظ ذات الاستعمال المتواتر وبعضها الآخر يكون استعمالها نادرا جدا- فالصويت /t/ مثلا في الفرنسية يتكرر وجوده في العديد من الألفاظ (تواتر معجمي) وغالبا ما يظهر في الأقوال (تواتر في الخطاب)؛ من بين الصوائت، /i/ متواتر بنفس الدرجة في المعجم وفي الخطاب؛ /l/، الذي هو على الأرجح اقل تواترا من /t/ في المعجم؛ له تواتر أكبر في الخطاب، لأنه يظهر في أداة التعريف؛ الصويت /n~/ نادر بوجه عام سواء إعتمدنا معجما أو نصّا: نفس الشيء ينطبق على الصويت /œ~/ مع أن تواتره في الخطاب قد تحسن باستعماله أداة لتنكير المذكر.

3-39- إئتلافات الصويتـــات :

تنجم الطريقة التي يمكن أن تجمع بها الصويتات في لسان مّا لتكوين دوال عن مقارنة جرود الوحدات التمييزية في مختلف الأوضاع، ومع ذلك فإنه من المفيد إجلاء هذه المسألة وأثناء ذلك نأخذ بعين الاعتبار طبعا الصفات النغمية، ثمة منهج مناسب إلى حدّ، يقوم أوّلا على استخراج الوحدات التي يمكن أن



4 – الوحدات الدالة

I – تحليل الأقوال :

4–1– الدور الهامشي للعلامات النغمية:

إنه ليستهوينا طبعا أن نجعل تطابقا بين الوحدات الدالة ووحدات التقطيع الأول. لكنه ينبغي أن لا ننسى أن صفة نغمية، مثل إرتفاع المنحنى اللحني التي تجعل من: "إرتفع ثمن الخبز؟ " سؤالا، تؤلف بين دال وبين إرتفاع المنحنى وبين مدلول نتعرف عليه في العربية من خلال كلمة "هل". ثمة إذن علامات لا تخضع إلى التقطيع المزدوج- هذه العلامات تقوم بدور لا يستهان به في العملية التبليغية البشرية. ولكنه ينبغي أن نعتبرها هامشية لأن القول لا يكون لسانيا حقا إلا بقدر ما يكون قابلا للتقطيع المزدوج. إن ما سيكون محط نظرنا في ما يلي هو وحدات التقطيع الأول وحدها دون أن نهمل البتة أنه يمكن أن تقوم مقامها العلامات النغمية أو تكملها.

4–2– صعوبات التحليل: الالغام.

مثلما تقوم العملية الأولى الصوتية على تحليل الدوال إلى وحدات متتالية دنيا هي الصويتات فإن العملية الأولى هنا تقوم على تحليل الأقوال أو أجزاء الأقوال إلى واحداتها الدالة المتتالية الدنيا التي نسميها الكلمات. ينبغي أن نلاحظ من البداية أن حظوظ بلوغ هذه العملية منتهاها ليس على الدوام مضمونا. والسبب في ذلك هو أن الكلمات وحدات ذات وجهين: وجه مدلول ووجه دال هو بيانها. وحتى يبيّن المدلول فإنه من اللائق أن يكون القول صويتيا مختلفا عما قد يكون عليه دون ذلك. ولكن قد يحدث أن مدلولين موجودين في قول ما قد يتداخل دالاهما بحيث إننا لا نستطيع أن نحلل ذلك التداخل إلى مقاطع متوالية. ليكن في الفرنسية المدلول "à" والمدلول "le" للدليلين à و le، دالاهما هو عامة على التوالي /a/ و /l/ في: il est à Paris وفي le chapeau مثلا، ولكن عندما يلتقي الدليلان في موضع واحد من مدرج الكلام ويكونا متبوعين بصامت فإنهما يتخذان دالا فردا غير قابل للتحليل هو /o/ يرسم au (il va au marché ولكن il va à l'hopital)، ليكن – في الانجليزية- المدلول "قطع" و المدلول "الحدث المنقطع"؛ فدال الأول هو/k^t/، ودال الثاني غالبا ما يكون /d/؛ ولكن عندما يقرّب الدليلان في القول فإنهما يبينان منسوجين في صيغة /k^t/ في he cut "قطع"* (صيغة الحاضر هي

/he cuts /hi k^ts/). في "اللاتينية" malorum "التفاح"؛ -orum يستعمل دالا لمدلولين "الإضافة" و "الجمع" دون إستطاعة تدقيق ما الذي يطابق الإضافة وما الذي يطابق الجمع. في كل هذه الأحوال نقول إن الدوال المختلفة ملغمة.

يمكن أن نرى في الإلغام جانبا خاصا لظاهرة أعم أساسها بيان الدوال وفقا للسياق في أشكال متغيرة. في الفرنسية بين المدلول "aller" وفقا للسياق في اشكال /al/، /va/، /i/ (i-ra) أو /aj/* إن وجود هذه الوجوه المعروفة كما هي لأنها تقع في توزيع تكاملي يدل على أننا لا نستطيع متأكدين التعرّف على كلمة بالرجوع إلى دالها. واستعمال مفهوم الإلغام يمكّن الواصف من بعض الخيارات: ففي وضع كما في الألمانية sang منقطع singen، لا يهم أن نختار التحليل إلى دال منقطع /Z...ŋ/ مطابق للمدلول "غنّي" وإلى دال /a.../ ... مطابق للمدلول "ماضي" أو نختار تأويل /Zaŋ/ كملغم مطابق لدالين متميزين.

4–3– التحليل إلى كلمات :

إن العملية التي تمكن من تحليل الأقوال إلى كلمات ليست بعيدة الشبه عن تلك التي تمكن من تحليل الدوال إلى صويتيات. يتعلق الأمر بطبيعة الحال في الحالتين بتحديد المقاطع التي اختيرت خصيّصا من لدن المتكلم: في حالة الصويتات، تعلق الأمر بمقاطع كان ينبغي إختيارها بحيث نحصل على دال معيّن؛ أما هنا فيتعلق الأمر بمقاطع كان لابد للمتكلم من أن يختارها لعلاقتها المباشرة بالقيمة التي يعطيها للخطاب. فالتحليل ينتج عن تقابل أقوال تتناقض فيها الفوارق في الأصوات ويتزايد فيها التقارب في المعنى. ليكن المثال التالي في الفرنسية، il court /ilkur/ و nous courions/nukuriõ/؛ للدالين إشتراك في المقطع /kur/ وللمدلولين إشتراك في مفهوم "الجري" وهذه وتلك تبقى جد مميّزة. أما /nukuriõ/ و /nukurõ/ فالفارق بينها أقل بدرجة محسوسة لاشتراكهما في /nukur...õ/ والمدلولان يشتركان في "الجرى" و "الشخص الأول للجمع" (فصل بين الشخص الأول والجمع بمقابلة /nukuriõ/ و vous couriez /vukurie/، و/nukurõ/ vous courez /vukure/)؛ فالدوال لا تنفرز هنا إلا بإدراج /... i.../ في الأول وانعدام /... i.../ في الثاني، أما المدلولات فبمفهوم صيغة "الماضي المستمر" التي توجد في الأول وتنعدم في الثاني سنكتب إذن كلمة بمدلول "الماضي المستمر" ودال /i/ مدرج في المركب قبل

* إن صيغة "كتب" في العربية هي نمط لما يذكر هنا لأنها تنطوي على عملية الكتابة وعلى إنقطاعها وعلى الشخص المذكر الغائب. * في العربية: وعى، وعيت، أعي، عْ.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

وفقا لمقتضى الحال، je، me أو moi، لا يقال مطلقا في "الفتنامية" إلا "tôi"– في بعض الحالات يتجاوز الدال حده إلى الفعل المجاور له بحيث يكون عندنا مثلا je suis /z̄sui/ إلى جانب tu es/tüé/، il est /ilé/، je vais /z̄vé/ مقابل لـ tu vas/tüva/، il va /il va/ الخ.، في حين أن النظائر "الفيتنامية" للأفعال الفرنسية لها جذور لاتتغير. في الفرنسية أيضا جمود دوال الكلمات ليس نادرا: و "jaune" هي على الدوام /z̄n/ سواء استعملت بمفردها أم استعملت في المشتقات (أنظر jaunisse/ z̄n-is/، jaunet / z̄n-é/)؛ فجذر أغلبية واسعة من أفعال اللسان الفرنسي مثل /dón-/ "donc"، /šât/ "chaute"، /ma~z/، "mange" تبقى هي هي أثناء التصريف.

دراسة وجوه الدوال هو موضوع التصريف. وتطبيق هذه الدراسة في الإطار التقليدي للفظة أو عند تفحص كل كلمة بمفردها لايتطابق مثلما يظن غالبا، مع تعداد كل الكلمات النحوية. (أنظر في مايلي 4–19): فالنحوي الجامد: "pour" في الفرنسية لاعلاقة له بالتصريف والمعجمي all(er)، بوجوه داله /al./، /va/، /i/، /ai/، هو في خضم التصريف.

4–7– وجوه الدوال ووجوه المدلولات :

يمكننا أن نقارن بين وجوه دوال الكلمات ووجوه دوال الصويتات متحدثين في هذه الحالة أو تلك عن وجوه ائتلافية أو سياقية. ينبغي بطبيعة الحال– أن نلاحظ أن السياق الذي يعيّن التغيرات هو سياق صوتي، وفي حالة الصويتات وهو في حالة الكلمات سياق دالّي: /...i.../ تستعمل عندما يوجد "الماضي المستمر" مع " الشخص الأول أو الثاني للجمع" و تستعمل /...é/ فيه مع "أشخاص" أخرين ومع ذلك توجد حالات حيث إن تكييف إستعمال وجهي كلمة يؤدى بعبارات السياق الصوتي. فالجمع في الانجليزية يؤدى بـ /iz.../ بعد صفيري أو تشيشي، ويؤدى بـ /z.../ بعد أي صويت يحقق كمجهور ويؤدى بـ /s.../ بعد كل صويت يحقق كمهموس، فجمع sin/sIn/ سيكون إذن /sinz/، ومع هذا فإن تعاقب /s/ و /z/ لايعيّن صوتيا بالسياق الصوتي لأن: sins/since/ يوجد إلى جانب /sinz/؛ يمكن لتكييفه أن يصاغ بأدآت صوتية. ولكنه لا يصلح إلا لاستعمال نحوي معين.

توجد إلى جانب وجوه إتلافات الدوال، وجوه إختيارية مثل /z̄pǿ/ "je peux"*، /z̄pũi/ "je puis" تدخل في علاقة متبادلة مماثلة لتلك التي لاحظناها

* في العربية : إسأل وسل

في ماسبق (17.3) بين الـ r الغليانية والـ r المكررة في كلام المثل.

إذا جاز لنا هنا أن نستعمل نفس المصطلحات لوحدات تقطيعَيِ اللسان فإنه من اللائق أن نلاحظ وجود فرق أساسي بين وجوه الدوال ووجوه الصويتات، مرد هذا الفرق في كون وجوه الصويتات لاتحدد بعبارات الكميات المنفصلة: فكل تحقيق لصويت هو وجه لأنه فيزيائيا يختلف ولو قليلا عن أي صويت آخر بسبب السياق أو بسبب مزاج المتكلم. على العكس من ذلك تحدد وجوه الدال بالأداءات الصويتية

أي بوحدات مميزة فـ: /kur/، cours، coure، court عندما ينطقها فلاّح بـ r مكررة ليست وجها للدال /kur/ نفسها وهو كما هو عليه لاوجه آخر له. هناك وجه للدال عندما يؤدى المدلول "aller" بـ /...al.../ في nous allons /nuzalõ/ وبـ /...i.../ في nous irons /nuzirõ/. فالدال أو وجه الدال يكون دائما قابلا للتعريف في شكل وحدات تمييزية منفصلة أو منعدمة يختلف الأمر كل الاختلاف بالنسبة لوجه مدلول الكلمة الذي تختلف قيمته وفقا للسياقات والمواقف شأنه في ذلك شأن أداء الصويت: فلنقارن il court après lautobus، court après la fortune، il court le cerf، il c'est un coureur (تقال في ملعب أو في صالون)* .

II – تدرج الكلمات :

4–8– موضع الكلمة ليس على الدوام وجيها :

كنا لوضع جرد الصويتات بدأنا باستخراج الوحدات القابلة للظهور في سياق معين. لقد تعلق الأمر فعلا بإيجاد الوحدات التي كان ينبغي للمتكلم أن يختار من بينها في كل نقطة من قوله حتى يطابق القول جيدا الخطاب المودود. فإذا كان هذا الخطاب ينطوي على لفظ ألم /ء = ل=م/ فإنه لابد في البداية من إختيار /ء/ ضمن الصويتات الصوامت التي يمكن أن تظهر فيه، ثم إختيار /ـَ/ من الصويتات الصوائت التي يمكن أن تظهر في مقطع صوتي مفتوح و يتكرر نفس الشيء بالنسبة لـ /ل/ ثم الـ /ـَ/ وأخيرا اختيار /م/ ضمن الصوامت القابلة للظهور في مؤخرة الكلمة إنه ليس من الممكن بعد اختيار هذه الصويتات الأربعة: /ء/،/ل/،/م/و/ـَ/ أن توضع في أي ترتيب كان لأننا

* في العربية: جرى الشاب وجرى الماء (سال) وجرت العادة وجرى المثل



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

فيه حدث وكلمة ثالثة مساوية بالتمام إلى "أمس" تدل على اليوم الذي يسبق اليوم الذي يبلغ فيه الخطاب، ليس لذاته وإنما باعتباره الفترة التي يدرج فيها الحدث. يطابق الكلمة الأولى من هذه الكلمات في العربية المتوالية من الكلمات: كان جرى حفل، والذي ينطوي -بالإضافة إلى كلمة الماضي (كان) التي تضاعف كلمة أمس بدقة أقل- خاصة، على فصل مفهوم "حفل" مفهوم الوجود الحقيقي (جرى). يطابق الكلمة الثانية بمجموعة الكلمات التالية: في القريتين، التي يعّبر فيها بكيفية منفصلة عن مفهوم "قرية وعن مفهوم "المكان الذي يحدث فيه أمر" (في القريتين، العدد ملغم في الـ "ي": كما هي ملغمة حالة الكسر في تلك الـ "ي") من غير مساس بالاشارة إلى أن القريتين المذكورتين ليستا أية قريتين. الكلمة الثالثة هي وحدها التي تجد ما يعادلها في العربية في الكلمة الفريدة "أمس" التي تقيم بنفسها علاقة محددة بين اليوم السابق لهذا اليوم الذي نحن فيه والحدث الذي ترويه؛ كلمة أمس تؤلف بوجه مّا بين معنى "في" ومعنى "اليوم السابق ليومنا هذا". هذا لا يعني أنه يحق لنا تحليل الدال "أمس" إلى مدلولين مميزين بل يعني أن المفهومين مثلا زمان على الدوام في العربية ويكونان وحدة لسانية واحدة.

وحتى تتمكن كلمة ما بسيطة من الظهور تارة هنا وتارة هناك في أي قول دون تغيير أساس الخطاب فإنه ينبغي طبعا أن تنتمي إلى ضرب تلك التي تتضمن في ذاتها علاقتها ببقية القول مثل أمس واليوم وغدا- فإن لم يكن ذلك، فبعض حرية الموضع يمكن أن يضمنها لها إضافة كلمة خاصة تشير إلى علاقتها بالسياق وهذا ما نلاحظه مثلا في: مع بعض أهلي وفي القريتين وعلى قدر أهل العزم: إن الكلمة التي لا تتضمن علاقتها بالسياق والتي لا تتصل بها كلمة علاقة ينبغي أن تدل على علاقاتها ببقية القول بموضعها الذي تحوزه فيه. سيشار إلى عيسى بأنه موضع العنف بحكم موضعه بعد موسى في ضرب موسى عيسى وسيشار إليه بأنه فاعل العنف بحكم موضعه قبل موسى في ضرب عيسى موسى.

4-11- الكلمات المكتفية :

إن الكلمات المكتفية مثل كلمة: أمس التي تتضمن، ليس فقط الرجوع إلى عنصر مّا من التجربة ولكن تتضمن أيضا علاقة محددة بالعناصر الأخرى للتجربة المراد تبليغها، هذه الكلمات ليست زمانية فقط؛ فكلمة سريعا مثلا هي من نفس الضرب؛ وإنما لا تدل على السرعة فقط ولكنها تدل على السرعة التي

* hier, il y avait fête au village

ما يجري الحدث المذكور هذه الوحدات تدرج في القسم التقليدي للظروف. وإنما لا تكون إقتصادية إلا عندما تكون كثيرة التواتر بل وأكثر تواتر من تعبير عنصر التجربة وهو منفرد. فـ سريعا هو أكثر تواترا من سرعة. أما بالنسبة لأمس فإنما كلمة أكثر تَواترا من نفس المفهوم معزولا عن خاصيته الظرفية أي عن مرجعه إلى ظاهرة معينة بحيث إنه ينبغي للتعبير عند اللجوء إلى تسمية معقدة بهذا الشكل: اليوم الذي يسبق يومنا هذا.

إن طبيعة علاقة الكلمة المكتفية ببقية القول لا ترتبط بموضعها في ذلك القول هذا لا يتضمن أن موضعها في الجُميلة يكون بالضرورة عديم الصلة بالمعنى: سريعا، ينبغي أن نمشي، يختلف عن: ينبغي أن نمشي سريعا: سنقول إن نقطة التلاقي ليست هي هي في الحالتين.

سنلاحظ أن الكلمات المكتفية التي تكون بهذا الشكل ليست هي الوحيدة التي لا ترتبط بشيء آخر لتدل على علاقاتها: فالكلمة الفعل مثل إرم أو إهد، تتضمن ليس فقط معناه ولكن أيضا أستعماله كمخبر: أي طبيعة علاقاته بالعناصر الأخرى للقول.

4-12- الكلمات المضيفات :

في كل الحالات التي يوضع فيها عنصر التجربة كعنصر قادر على أن يكون في علاقات متنوعة مع سياقه فإنه من مزيد الاقتصاد أن نضمن تعبيرا مميزا لهذا العنصر من جهة ولكل ضرب من العلاقة من جهة أخرى. لنفترض لسانا توجد فيه كلمة بتقدير "الرجل الذي يقوم بالعمل" وبدالٍ مثل /باكـ/ وكلمة أخرى بتقدير "الرجل الذي يقع عليه العمل" وبدالّ /سوم/ وكلمة ثالثة بمعنى "الرجل الذي يستفيد من العمل" وبدالّ /تين/؛ عوضا عن كلمتنا رجل/رَ جُ ل/ سنجد في اللسان المفترض "ثلاثة ألفاظ" جد متميزة: /باكـ/ التي سنستعملها في معادل: الرجل يمشى، /سوم/ في رأيت الرجل، /تين/ في: قدمها للرجل. لو أن هذا الوضع كان موجوداً لمجموع ما يعادل أسماءنا لكان في هذا اللسان ثلاثة أضعاف "الأسماء" التي في لساننا وهذا ما يثقل الذاكرة بشكل معتبر. وعلى هذا الأساس فإنه لم يعثر أبدا على لسان من هذا الضرب إنه من الأفضل بطبيعة الحال أن لا تكون لنا إلا كلمة واحدة



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

الثلاثة للجذرين يرجع إلى تشجيرات متتالية في سياقات متنوعة في شكل /-ك/ مؤخرة الكلمة. يحدث السياق أثره في الاتجاهين ويمس على السواء الكلمة المضيفة والعناصر الأخرى للتركيب. في اليونانية يمثل علاوة الـ م* القديم وهو دال لكلمة مضيفة في حالة النصب /ن/ عندما يكون الدال السابق منتهيا بصائت ومثله /ء ـَ a/ عندما ينتهي بصامت:

لو قو–ن، كوراك–ـَ.
logo-n korak-a

إن الظواهر من هذا النوع هي التي تكون أساسا لأغلب وجوه الدوال- والمآل الأقصى لهذا التوجه هو تداخل الدوال التي يمكن أن يؤدي إلى إلغام تام: في الفرنسية: au بدل à+ le، والإنجليزية cut بدل cut + ed.

إن التأثير الذي يحدثه دال على دال آخر عند إتصالهما غالبا ما يكون مصحوبا بتأثير متبادل في المدلولين المطابقين لهما. إن كلمتي إبن وعرس لهما معنى مغاير تماما في: ابن عِرس وإبن الأكرمين وعرس زيد ويتطابق الإلغام الشكلي الذي يعطي au إنطلاقا من à+le مع الملغم الدلالي في oeil de boeuf الذي يشير إلى شيء لا علاقة له البتة بـ: oeil و boeuf لكن هذا لا يصلح البتة للعلاقات بين الكلمة المضيفة والكلمة التي تسم وظيفتها. ذلك لأن ضرورات التبليغ تقتضي أن تبقى الفرديات الدلالية * أنظر مادة ع ي ن في: لسان العرب لكل منهما محفوظة.

4-15- الـ "لفظ" :

إن التركيب المكتفي المكوّن من كلمات غير قابلة للإنفصال هو ما يسمّى عموما: "لفظ"، إلا أن هذه التسمية تمتد إلى الكلمات المكتفية مثل: أمس وسريعا كما تشمل الكلمات غير المكتفية والمضيفات مثل لـ و مع وغير المضيفات مثل: الـ، كتاب، أحمر، التي عامة ما تكون فرديتها الصوتية واضحة المعالم ولو أن قابليتها للإنفصال ليست على الدوام ثابتة. إن العناصر الثلاثة في: le livre rouge* قابلة للإنفصال مثل ما يبينه المثال: le petit livre noire et rouge، ولكن لـ الـ و مع الـ لا يقبلان الفصل بعنصر إعتراضي إلا إستثناء. (لـ كل الـ)، أما تداخل du في de+le، والملغم au في à+le، فهما شاهدان على إلتحام المجموعات المكونة من حروف المعاني ومخصصات التعريف والتنكير.

* إدراج عنصر بين أداة التعريف "الـ" والاسم النكرة أمر مستحيل في العربية.

لن يجدي البحث عن تعريف أكثر دقة لهذا المفهوم (لفظ) في اللسانيات العامة. يمكن أن نحاول القيام بذلك في نطاق لسان مّا، ولكن حتى في هذه الحالة، غالبا ما يؤدي تطبيق المقاييس الصارمة إلى تحليلات لا تتناسب بالمرة مع الاستعمال الشائع للمصطلح- ومع هذا فلدينا بعض الحظوظ للوصول إلى نتائج مرضية في لسان كاللسان اللاتيني حيث إن اللفظ يلتبس عامة بالوحدة النبرية وحيث إن دوال الكلمات المكوّنة لها غالبا ما تتضافر بشكل يتعذر حلّه: ليكن مثلا dominus في صيغته domini "السادة" نضع جانبا التعقيد الذي يأتي به تحليل الجنس الذي لا يختلف مبدئيا عن التحليل الذي سبق في (4-5) بالنسبة للفرنسية، ونسجل ثلاث كلمات، تكون مدلولاتها "سيد"، "حالة الرفع" و "الجمع".

إننا لا نستطيع القول إن دال الكلمة الأولى هو -domin، صحيح أن هذا هو الجذر في اللاتينية الكلاسيكية لأنه العنصر الذي لا يتغير أثناء التصريف والاعراب؛ ولكن -domin لاتعني "سيد" إلا بالإئتلاف مع مجموعة من العلامات الخاصة. تكون الحالة أكثر وضوحا عندما ننظر في clauus، clauis و claua. وهي ثلاث لفظات بالجذر المتطابق clau، ولكنها جد متميزة، بحكم الوجوه الخاصة لعلاماتها بمعنى دوال كلماتها التي تسم الوظائف المختلفة. فالدال المطابق للمدلول "سيد" هو إذن domin في إئتلافه مع مجموعة من العلامات الخاصة. والدال المطابق لـ "حالة الرفع" هو -i، ولكن في إئتلافه مع -domin، ومن جهة أخرى فإن i هي -في نفس الظروف- دال كلمة الجمع. يظهر بجلاء أن التحليل إلى دوال مميّزة لا يمكنه إلا أن يعقد العرض دون أن تنجم عنه فوائد حقيقية. وعليه فإنه من الأفضل اللجوء في اللاتينية إلى الطريقة التقليدية لعرض الظواهر والتي وفقها يمثل dominus لفظة لـ" التصريف الثاني". إن وجود مجلوبات نبرية مثل -que لا يمنع من تعريف اللفظ المستخرج واللفظ كوحدة نبرية، ذلك لأن مجموع لفظ + مجلوب نبري ليس له من حيث النبر نفس سلوك اللفظ منفردا (مثلا بثلاث مقتضبات bonáque مقابل pópulus).

4-16- صعوبات تحديد اللفظ :

ليس من اليسر في شيء حصر وحدة من نفس الضرب في اللسانين الانجليزي والألماني. إنه من المعلوم أن الوحدة النبرية لهذين اللسانين لا تلتبس



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

المكتفي. الكلمات المعجمية هي التي تنتمي إلى حروود غير محدودة. والكلمات النحوية هي التي تتعاقب -في مواقع محددة- مع عدد محدود نسبيا من الكلمات الأخرى- إن معدل تَواتر الكلمات النحوية مثل: لـ، عن، على أو في الفرنسية de، pour، avec أو في اللاتينية "حالة الإضافة" "حالة الإيتاء" "حالة المفعول عنه" هو أكثر بكثير من عدد الكلمات المعجمية مثل: رجل، غني، كل. لو أخذنا أي نص وأحصينا فيه كل الأدوات (حروف المعاني) من جهة وأحصينا من جهة أخرى كل الأسماء التي ترد تباعا ثم لو أننا قسمنا الأرقام التي حصلنا عليها من الجهتين على عدد الأدوات المميزة وعلى عدد الأسماء المختلفة، لكان خارج القسمة أعلى بكثير بالنسبة للأدوات.

تكمن عقبة التمييز التقليدي بين النحوية والمعجمية في الخلط بين وحدات من نفس القسم في مثل درجة اختلاف الكلمات المضيفة مثل حروف المعاني والحالات الاعرابية التي تربط بين عناصر مميزة في القول وبين كلمات مثل أدوات التعريف أو العلامات الزمانية أو الكيفية التي هي مجرد مخصصات لكلمات أخرى، مثل الصفة صغير فهي مخصصة للاسم قارب في قارب صغير، أو مثل طعام فهو مخصص لـ: أكل في "يأكل الطعام".

إنه لمن تمام الإفادة التمييز ضمن الكلمات غير المضيفة بين التي يمكن أن تتقبل مخصصات أي أن تكون مصحوبة بكلمات إضافيّة تدقق المعنى: هذا هو حال إسم مثل قارب (قارب صغير) وحال صفة مثل صغير (صغير جدا) وحال "الحال" مثل مسرعا (سريعا) (مسرعا جدا) وحال فعل مثل أكل (أكل الطعام، هذا من جهة ومن جهة أخرى أداة التعربف مثل الـ (القارب) أو كلمة زمان مثل كان في "المنقطع" (كان أكل) الذين يخصصان كلمات أخرى ولكن لا يمكن أن يخصصا بدورهما. هذا النوع من الكلمات هو الذي نسميه القرائن.

4-20- قرائن وكلمات مضيفة :

لم يحسن التمييز في الفرنسية ومنذ أمد بعيد بين القرائن، مثل أدوات التعريف، والجمع وبين الكلمات المضيفة، ومع ذلك فإن الفرق بين الضربين أساسي. فإذا كان يعتبر sourire في التركيب المكتفي avec le sourire مركز التركيب فإن المخصص النحوي le عنصر جابذ والكلمة المضيفة avec عنصر نابذ، وفقا للرسم→sourire le avec← في لسان كالفرنسية حيث إن إلغام الضربين أمر إستثنائي، يمكن أن نلاحظ أن وجود مؤشر للوظيفة مثل avec

يعطي إستقلالا تركيبيا للمركب avec les valises واستعمال القرينة le لايعطي أية استقلالية لـ chasseur التي تعرف بوظيفتها chasseur tue la bête كفاعل دائما بفضل مكانها في السياق. تحدد بصفة عامة، إمكانية إستعمال هذه الكلمة المضيفة أو تلك، عناصر خارجة عن نطاق التركيب المكتفي والتي هي جزء منه: فهذا الضرب من الأداة يمكن أن يحتمل مفعول الإيتاء كما يمكن أن لا يحتمله آخر- لاشك أن المتكلم غالبا ما يحتفظ بخيار استعمال أو عدم استعمال تركيب مكثف جائز في رسم القول الذي اختاره: فبعد وزع، يمكن دائما الاشارة إلى مستفيد ولكنه يمكن أيضا العدول عن ذلك؛ نقول يوزع البيانات على المارة لكننا نقول أيضا: يوزع البيانات. ويتضح هذا الأمر أكثر في حالة التراكيب المكتفية المدرجة بواسطة مع مثلا- ويعدل صحة ما قلنا مع شيء من التفاوت، أن ضرورات التبليغ تؤثر دائما على إختيار كلمة مضيفة بواسطة الاختيار الأول لرسم خاص من القول.

والأمر يختلف تماما بالنسبة للقرائن: فاختيار هذه أوتلك من بينها في نقطة ما من مدرج الكلام يرتبط مباشرة بحاجات التبليغ ويرتبط بصورة أدق بالتّجربة المراد تبليغها- ولا تختلف القرائن في هذا المضمار عن الكلمات الأخرى غير المضيفة. إني أختار لأقول ما أريد أن أقول بين "الأيل" أو "أيل" مثلما أختار بين "أيل" أو "غزال". الفرق يكمن في أنه: في حالة القرائن يكون إختياري محدودا جدا: فهو "مخصص" أو "غير مخصص" بينما يكون عدد الحيوانات التي من بينها يمكن أن أختار لأكمل قولا مثل الصياد يقتل... غير محدود عمليّا. سنلاحظ أنه عند استبدالنا القرينة بقرينة أخرى أو مفرد بجمع أو أداة تعريف بأداة تنكير فلن تغير الرسم العام للقول. يتماشى هذا الأمر بطبيعة الحال مع كون الاسم في جملة لا تنية أو فرنسية، يمكن لكل إسم -وفقا لإختيار المتكلم- أن يكون في صيغة الجمع أو في صيغة المفرد وعلى العكس من ذلك بعض الجمل من ضرب معين في اللاتنية تفترض كلمة مضيفة للايتاء بعينها ولو عبّر عنها مرتين في كلمتين معطوفتين: urbi et orbi (للمدينة وللعالم).

4-21- خلط يسهله الإلغام والتّساوق :

تساهم بالمقابل عدة عوامل في تعتيم الفارق الأساسي بين الكلمات المضيفة والقرائن وأول عامل يكمن في كونها من حيث الشكل متجاورة في التركيب المكتفي بحيث إنها تنحو على مرور الزمان إلى التداخل وإلى إلغام بين داليها.



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

نفسه في حالة، واستعمال كلمة مضيفة في الحالة الأخرى وهذا وذاك يمكن أن يختفيا (يسقطا) دون أن يكف القول عن كونه قولا عاديا: كان جرى حفل؛ أمس وفي القريتين ما هما إلا تكملة لهذا القول، وهذا ما نلاحظه عندما نقول تقليديا إنهما فضلتان. لأن جزءَ كان جرى حفل "يمكن بمفرده أن يكون خطابا، وليس عليه هو أن يوسم علاقاته بإضافات محتملة، والفضلات تعرف بالتحديد كفضلات لأنها تطابق عناصر تجربة نقضي ضرورة بوسم علاقاتها بمجموع التجربة المراد تبليغها وهذه العلاقة تطابق الوظيفة على المستوى اللساني. فالتركيب: "كان جرى حفل" ليس مكتفيا فهو مستقل. ويطلق عليه إسم التركيب الاختياري.

4-25- الاجتعال :

لقد نظرنا سابقا في إمكانية التعبير عن مفهوم "حفل" وعن وجوده بالفعل في كلمة واحدة: هذا غير ممكن في العربية[1] حيث إن للمفهومين بالضرورة تعبيرين متميزين إن كون كلمة ما في كثير من الألسن، تستعمل في مقام معين من لدن بعض المتكلمين في ظروف خاصة، لا يكفي لتجسيد أحد الاحتمالات الدلالية -بالوجه الكافي- التي ينطوي عليها معناه ليجعل منها قولا مرضيا لسانيا: حفل، لا تمثل بمفردها خطابا لسانيا، وحتى يصير كذلك، ينبغي أن يرسخ في الواقع بوسم الوجود بالفعل "يجري حفل" والوجود المحتمل "قد يجري الحفل" وحتى عدم الوجود "لم يجر الحفل" مثلما يقال يليق بنا أن نجتعل الكلمة وحتى يكون ذلك لابد من سياق بمعنى لابد على الأقل من كلمتين تحمل إحداهما خصيصا الخطاب وتعتبر الأخرى إجتعالا له. فالعربية لسان ينتمي إلى هذا الضرب. فالمقام وحده لا يكفي مطلقا لاجتعال كلمة فريدة إلا في حالات الأمر والشتم والتحية: إذهب! إحبرا! هب! هنا! سريعا! خائن! سلام!. في الأجوبة التي كـ: نعم، لا، زيد، غدا يكون السؤال قد وفر السياق الضروري للاجتعال: في ماعدا هذا تكون الأقوال المكونة من كلمة واحدة صيغا مختصرة لأقوال أطول وبمعنى مطابق: ممنوع! لـ: هذا ممنوع. يتعلق الأمر بأقوال مبتورة يمكن للمتكلم -دائما- أن يصححها إذا لزم الأمر تقريبا كما يفعل الألماني الذي يقول: [na'mt] بـ Guten Abend والذي يعود إلى الصيغة [gu'tn?abnt] عندما يطلب منه أن يعيد ما قال.

1 ولا في الفرنسية أيضا - في الفرنسية: je+tue أو: on

4-26- السند :

قد ينجم الاجتعال في المكان الذي يكون فيه لازما -عن تكوين سياق ما، وعليه فإنه قد يكفي لتحقيقه إضافة كلمة نحوية إلى الكلمة المركز في القول. في العربية كلمة قاتل /ق= ا ت ـ ل/ يمكن أن تجتعل باضافة كلمة هو /هـ ـ و/.

ولكن بطبيعة الحال يمكن أن تقوم كلمة أخرى أيضا سواء أكانت مصحوبة بمخصص أم لا بدور السياق المجتعل: الكحول قاتل /ء ـ ل φ ك ـ حـ ـ و ـ ل ـ ق ـ ا ت ـ ل/ هذا يؤدي إلى جعل القول الأدنى يشتمل جبرا على عنصرين،عادة ما يشير أحدهما إلى حالة شيء ما أو إلى حدث إليه يجلب الانتباه، يتخذ هذا العنصر إسم **المخبر**، أمّا الثاني المسمى **سند** (ا) فيدل على مشارك فاعل أو مفعول يكون دوره بهذا الوجه، مبدئيا، منفرزا. ويكون السند إما "ضميرا"، في: هو يمشي/ هـ ـ و ـ ي ـ م φ ش ـ ي/ وإما "إسما" في "الرجل يمشي" وإما إئتلاف "إسم" و "ضمير" كما يرد في بعض الحالات هي الدنيا تدور، أو في اللاتنية. uir ambulat- من حيث الدلالة يمكن أن يدل السند أيضا على إسم المفعول أو المستفيد من الحدث كما يدل على إسم الفاعل: he تشير إلى إسم المفعول في الانجليزية he suffered، he was killed والمستفيد في: he was given a book، وإسم الفاعل في he killed أو he gave a book. يمكن للسند -حسب الألسن- أن يكون تركيبا مكتفيا (مصحوبا بقرينة الفعل) uiri occidunt، يتضمن uiri مؤشر وظيفة.في الفرنسية، السند ليس مكتفيا، توسم وظيفته بموقعه بالنسبة للمخبر.

من حيث الشكل، يكون السند إذن وعلى الدوام متسما إما بكلمة مضيفة وإما بموقعه. ولكن الذي يمكّن من تحديده كسند وتمييزه عن الفضلات هو وجوده الاجباري في ضرب معين من الأقوال؛ ففي الكلاب تأكل الحساء أو هي تأكل الحساء. إنه لا يمكن إسقاط: الكلاب أو هي كما لا



Please purchase Image to PDF Converter on http://www.verypdf.com to remove this watermark.

4-31- العطـــف :

من الجدير بالذكر منذ البداية التمييز بين ضربين من البسط: البسط بالعطف والبسط بالتعلق يكون البسط **بالعطف** عندما تتطابق وظيفة العنصر المضاف مع وظيفة العنصر السابق الوجود في نفس النطاق بحيث يمكن استعادة بناء القول الأصلي إن نحن أسقطنا العنصر السابق الوجود (والعلامة المحتملة للعطف) و لم نترك إلا العنصر المضاف: ليكن القول: هو يبيع الأثاث، ستوجد فضلة بالتعلق إن نحن أضفنا بعد الأثاث يشتري مسبوق بكلمة خاصة (و) تسم ضربا من العطف؛ هذا ما يعطينا: هو يبيع الأثاث ويشتريه حيث إن يشتري له تماما نفس دور يبيع يعني الدور الاخباري وفي نفس النطاق أي في نفس العلاقات مع العناصر الأخرى للقول. وإن نحن أسقطنا في القول الجديد، المخبر الأصلي يبيع (وعلامة العطف و)، فسنحصل على يشترى الأثاث، الذي له معنى آخر ولكن نفس بنية القول الأولي.

إن البسط بالعطف يمكن أن يمس أية وحدة من الوحدات المدروسة حتى الآن: كلمة مكتفية في: اليوم وغدا، وكلمة مضيفة في: مع ودون أمتعتي، وقرينة في المثال الانجليزي.with his and her bag، ومعجمي في احمر وأسود، رجل وامرأة؛ وتركيب إخباري في يرسم ويصور بمهارة. نلاحظ أنه يمكن عطف عنصرين مثل اليوم وغدا (مثلا في سيستمر الصفاء اليوم وغدا) وهما يتنافران كعنصرين مكتفيين في قول واحد.

4-32- التعلـــق :

يتسم البسط بالتعلق بكون وظيفة العنصر المضاف لا تستعاد في عنصر سابق الوجود في نفس النطاق. يشار إلى هذه الوظيفة، إما بموقع العنصر الجديد بالنسبة للوحدة التي إزاء ها يقوم هذا العنصر بوظيفته وإما بواسطة كلمة مضيفة؛ فالبسط الذي تمثله (كلمة الحساء "في تأكل الكلاب الحساء" وظيفتها يسمها موظعها بعد النواة الاخبارية المكونة من الكلمة الاخبارية مصحوبة بقرائنها؛ والبسط الذي له شكل: من القلب، في نداء من القلب فوظيفته تسمها الكلمة المضيفة من؛ نرى أن البسط يمكّن من تكملة العناصر غير الإخبارية للقول بنفس الطريقة التي يكمل بها المخبر مع أنه قد يكون ذلك مثل ما هو الحال هنا، باستعمال وسائل لسانية مختلفة: في الفرنسية تتميز وظيفة المفعول به المباشر" عن وظيفة "تميم الاسم" في أن الأول يوسم بالموضع والآخر بالكلمة المضيفة "من" -ولكن- بطبيعة الحال- لاشيء يمنع أن تكون الوظيفة

هي في الحالتين مثلا في لسان يكون القول الكامل المستعمل سابقا على الشكل المفترض التالي، il ya manger de la soupe par les chiens حيث تكون علاقة soupe بالنسبة لـ à manger، لسانيا كعلاقة la route بالنسبة لـ poussière.[1]

إن العنصر المتعلق يمكن أن يخصص (تقليديا "يرتبط بـ") تقريبا أي عنصر من التقطيع الأول، كلمة بسيطة أو تركيبا، بما في ذلك القرائن (plus grand>bien plus grand) وحتى المؤشرات الوظيفيّة (sans argent>absolument san argent التي مع ذلك، غالبا ما تفلت عن التخصيص، يقوم كذلك العنصر المتعلق بتحديد قيمة كلمة مكتفية (سريعا > سريعا جدا أو أي كلمة أخرى :

la robe>la robe rouge, la robe de bal, la robe qui est rouge, le pinceau de l'artiste)

هذا العنصر المتعلق يمكن أن يكون هو نفسه بسطا بالتعلق لكلمة أخرى (il va vite > il va très vite, la belle robe > la très belle robe) يمكن أن يخصص العنصر المتعلق كلمة إخبارية: هو يقول > هو يقوله له، هو يقول كلمة، يقول إنه سيأتي> يسافر، يسافر غدا، يسافر عندما تأتي.

يمكن أن يتخذ العنصر المتعلق شكل كلمة وحيدة مكتفية (هو يجرى، هو يجرى سريعا) أو غير مكتفية (كبير، كبير جدا. يمكن أن يكون تركيبا مكتفيا من ضرب التراكيب التي عرضناها حتى الآن: هو يسافر > هو يسافر مع خلانه les eglises > les eglises de Rome يمكن أيضا أن يكون تركيبا ذا شكل إخباري، تجعله -عادة- مكتفيا إضافة كلمة مضيفة غالبا ما تكون "أداة تعلق" ولكن يمكن أيضا أن يستدل عليه كبسط -فقط- من خلال الموضع الذي يشغله في القول: هو يسافر > هو يسافر عندما تأتي، الفستان الذي ترتديه، ويستدل عليه من غير كلمة مضيفة، في الانجليزية... the face was black> the face he saw was black .

وهكذا نرى أن مفهوم التعلق يشمل تماما نفس الظواهر التي يشملها مفهوم التخصيص (أنظر 4-19) ولا تختلف إلا وجهة النظر: فالعنصر المتعلق هو العنصر المخصص. وللكلمة المخصصة، التي يرتبط بها عنصر متعلق غالبا ما تعد **نواة**، ينبغي أن يعتبر مخصص هذه النواة أي العنصر الذي بها يتعلق **تابعا**.

1 Les chiens mangent la soupe / la poussière de la route